الأخلاق والقيم الإسلامية

مقرر أكاديمي وفق مفردات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٣٣) ثلاثة وثلاثون خلقًا وقيمة إسلامية

تأليف

د. عبد الرحيم حسن بخاري

د. إبراهيم يوسف عبده

الأخلاق والقيم الإسلامية

ح عبد المجيد حسن بحاري وإبراهيم يوسف عبدي، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بحاري، عبد المجيد بن حسن بن مهدي

الأخلاق والقيم الإسلامية / عبد المجيد بن حسن بن مهدي بحاري؛

إبراهيم يوسف عبدي - ط١ - المدينة المنورة، ١٤٤٤هـ.

١٩٢ ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٣-٢٣٢٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- القيم الإسلامية أ. عبدي، إبراهيم

يوسف (مؤلف مشارك) ب. العنوان

ديوي: ٢١٢,٢ ١٤٤٤/٨٨٩

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٨٨٩

ردمك: ٣-٢٣٢٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

الأخلاق والقيم الإسلامية

مقرر أكاديمي وفق مفردات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٣٣) ثلاثة وثلاثون خلقًا وقيمة إسلامية

تأليف

د. عبد الرحيم حسن بخاري

د. إبراهيم يوسف عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الأول: المدخل الى دراسة الأخلاق والقيم الإسلامية..... ١٣

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية ١٥

المبحث الثاني: الأخلاق في الإسلام ١٧

المبحث الثالث: طرق اكتساب القيم والأخلاق الفاضلة..... ٢١

المبحث الرابع: مصادر القيم الإسلامية وأسسها وخصائصها ٢٥

المبحث الخامس: أهمية القيم للفرد والمجتمع ٣٢

الفصل الثاني: أصول الأخلاق (القيم العليا) ٣٧

المبحث الأول: الإخلاص ٣٩

المبحث الثالث: الإحسان..... ٤٣

المبحث الرابع: العدل..... ٤٧

المبحث الخامس: الصّدق ٥٢

المبحث السادس: الصّبر ٥٦

المبحث السابع: تزكية النّفس..... ٦١

المبحث الثامن: العفّة ٦٥

المبحث التاسع: الأمانة ٧١

المبحث العاشر: الرّحمة..... ٧٥

الفصل الثالث: القيم الاجتماعيّة ٨١

المبحث الأول: برّ الوالدين ٨٣

المبحث الثاني: صلة الرّحم وذي القربى ٨٨

المبحث الثالث: حسن الجوار ٩٤

المبحث الرابع: الأخوة الإسلامية ٩٩

المبحث الخامس: إصلاح ذات البين..... ١٠٣

المبحث السّادس: الإمامة ولزوم الجماعة..... ١٠٦
المبحث السّابع: الشّورى..... ١١١
الفصل الرابع: القيم الاقتصاديّة ١١٥
المبحث الأول: قيمة حسن التدبير..... ١١٧
المبحث الثاني: قيمة تجنب الإسراف والتبذير ١٢٢
المبحث الثالث: قيمة الإنفاق في سبيل الله ١٢٤
المبحث الرابع: قيمة الكسب الحلال ١٢٨
المبحث الخامس: قيمة تجنب الشّح والبخل..... ١٣٢
الفصل الخامس: القيم النفسية..... ١٣٧
المبحث الأول: التّواضع ١٣٩
المبحث الثاني: الحياء..... ١٤٤
المبحث الثالث: الشّجاعة..... ١٤٨
المبحث الرابع: المروءة ١٥٢
المبحث الخامس: الكرم..... ١٥٦
الفصل السّادس: القيم الحضاريّة ١٦١
المبحث الأول: علوّ الهمّة ١٦٣
المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر..... ١٦٨
المبحث الثالث: العلم ١٧٣
المبحث الرابع: العمل الخيري..... ١٧٩
المبحث الخامس: النّظافة والجمال..... ١٨٤
المبحث السادس: المحافظة على الصّحة..... ١٨٨

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

الأخلاق والقيم الإسلامية أصل من أصول الدّين وأساس من أسس الشريعة المطهرة، لها آثار حميدة على الأفراد والمجتمعات، فهي سبيل إلى تحقيق السعادة والطمأنينة والسكينة والاستقرار، وبها ينتشر الخير، وتتقدم الأمم وتزدهر.

وقد ورد ذكر الأخلاق في القرآن في أكثر من (١٠٠٠) آية وذلك لأهميتها وعظيم شأنها، فلا غرو أن يكون رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النموذج الأمثل في الأخلاق والقيم الحسنة النبيلة، فكان خلقه القرآن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالأخلاق والقيم الإسلامية لها مكانة عظيمة في الإسلام، ولها أثر كبير في حياة الناس في تصرفاتهم وسلوكهم وعلاقاتهم ومعاملاتهم وتصوراتهم لهذه الحياة، وهي مرتبطة بجميع مجالات الحياة الأسرية والاقتصادية والفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية والصحية.

وقد أحسنت جامعتنا المباركة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بالعناية بالإعداد القيمي والأخلاقي لطلابها حيث قررت تدريس مقرر القيم الإسلامية ضمن مناهجها الأساسية.

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصًا مقبولًا عنده وأن يجعله في ميزان حسنات كاتبه وقارئه ومعلمه وطلاب الجامعة الإسلامية وخريجيها وأساتذتها ومنسوبيها وجميع المسلمين.

المؤلفـــان

المدينة المنورة

غرة محرم ١٤٤٤هـ

تقديم

أ. د. أحمد بن حمد البوعلي

مدير الهيئة العامة للأوقاف بالمنطقة الشرقية

الحمد لله الذي جعل الدين كاملًا، والنعمة تامة، وجعل كمال الدين وتمام النعمة بالأخلاق، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، والقلب الرحيم، الأقرب منزلة لذوي الأخلاق، والداعم لكل فضيلة، وعلى آله وأصحابه ذوي الشمائل الطيبة والأخلاق الحسنة وبعد:

فإن الحديث عن الأخلاق والقيم الإسلامية هو ربط بين واقع المسلمين وما يجب أن يكونوا عليه؛ من الثبات والدوام والاستمرار و إعطاء الشيء حقه.

فالقيم مصدرٌ بمعنى الاستقامة، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي دينًا مستقيمًا لا عِوَج فيه، ويأتي وصفها بالإسلام لتزكية هذه القيم والإقرار بصحتها، ووجوب اتباعها.

والأخلاق الإسلامية تم استنباطها من واقع عاشه الرسول ﷺ، قولًا وفعلًا وإقرارًا، بما يعني أنه سنة، وتأتي التزكية الربانية لهذه السنة المطهرة من رب العباد فتعلو بها إلى الفرضية والوجوب، لأن اتباع هذه الأخلاق نجاة للعباد وتنظيم لعلاقات البشر، ومن هنا فإن الأخلاق إنسانية في مقامها الأول، واتباعها من المسلم هو طريق النجاة الذي أقره الله لعباده وقام عليه المعصوم ﷺ وطبقه عمليًّا في حياته وحض عليه صحابته وأمته.

وانطلاقًا من القيمة التي يمكن أن نضيفها إلى هذا الكتاب الكبير في قيمته، الصغير في حجمه فإن المكتبة الإسلامية كانت في حاجة إلى مصنف مختصر في هذا العلم الذي لا يتوقف أثره عند طلاب الجامعة، بل أرى أن يتم به النفع في تعميمه على طلاب المدارس، والدعاة والمهتمين في كل مكان لأن الحض على هذه الأخلاق والقيم يجعل المجتمع في حالة صلح مع نفسه لاتباعه أوامر الله واجتناب نواهيه.

وقد جاءت مادة الكتاب في لغة تقرب الصحيح للقيم والأخلاق متبعة المنهجية العلمية في العرض، ومتعرضة لكل ما يخص الناس في دينهم ودنياهم دون تغليب لجانب على آخر، مع ذكر أمثلة لهذه الأخلاق وتعضيدها من الدين الحنيف بدستوره الذي حفظه رب العباد وجعله طريقًا لسعادة الدارين.

أدعوكم إلى هذه الأخلاق والقيم وقد سبقت بدعوة نفسي إليها فجلبت للقلب راحة وللنفس طمأنينة سائلًا الله لأبنائنا في الجامعة الإسلامية ولمؤلفي الكتاب ولكل متلق لهذا الكتاب بقلبه وعقله أن يكون ممن صدق فيهم قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون**».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ. د. أحمد بن حمد البوعلي

مدير الهيئة العامة للأوقاف بالمنطقة الشرقية

عضو مجلس إدارة الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

تقديم

أ. د. سلطان بن عمر الحصين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الحمد لله القائل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

فالأخلاق والقيم الإسلامية من أصول الإسلام ومبادئه العظام ولها آثار حميدة وعواقب طيبة على الفرد والمجتمع فهي ترتقي بالمسلم في مراتب التّزكية والسّمو الأخلاقي، كما أنها تضفي على المجتمع الخير والأمن والرخاء.

ولقد تمثل رسولنا الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الأخلاق وأكملها فكان صابرًا صادقًا أمينًا عفيفًا رحيمًا كريمًا زاهدًا متواضعًا عادلًا، رقيق القلب، حسن العشرة، رفيقًا بأصحابه، لا يهين أحدًا، من رآه هابه، ومن عرفه أحبه، يألف الناس ويألفونه، لا ينطق بفحشٍ ولا يعيب أحدًا ولا طعامًا، لين الجانب، لا يرد سائلًا، وليس بفظ ولا غليظ.

ولا تسأل عن رقي الأفراد والمجتمعات إذا ما ساد بينهم العدل والصدق والأمانة والإخلاص والعّفة والصّبر والرّحمة والبرّ وصلة الرّحم والتّواضع والحياء والمروءة والكرم، ولزوم الجماعة.

وعند فقد الأخلاق الإسلامية أو ضعفها تتحول المجتمعات والبيئات التعليمية إلى بيئات جافة قاسية؛ لا يُوقَر فيها الكبير ولا يُرحم الصغير، ويكثر فيها سوء الظن، والشحناء، والبغضاء، والحسد، والكذب، والغيبة، ولا غرابة في مثل هذه البيئة الموبوءة

أن تجد تنافرا يصل إلى التدابر الذي نهى عنه النبي ﷺ وحذر منه بقوله: **«لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**.

والكتاب الذي بين أيدينا يسد حاجة المكتبة الإسلامية الدّعويّة في مجال المقررات التّعليميّة الدّعوية في مجال الأخلاق والقيم، وإنني إذ أنصح بتدريسه في المدارس والجامعات الإسلامية ومنها جامعتنا المباركة الجامعة الإسلامية؛ فإنني أسأل الله القبول للكتاب وكاتبه وقارئه، كما أسأله سبحانه أن يهدينا جميعًا إلى الخلق الحسن والقول والحسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سلطان بن عمر الحصين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الفصل الأول

المدخل إلى دراســة
الأخلاق والقيم الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم الإسلاميّة.

المبحث الثاني: الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثالث: طرق اكتساب الاخلاق والقيم الفاضلة.

المبحث الرابع: مصادر القيم الإسلامية وأسسها وخصائصها.

المبحث الخامس: أهمية القيم للفرد والمجتمع.

المبحث الأول

مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية

تظافرت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله الكريم محمد ﷺ على التّخلق بالأخلاق الحسنة، وذلك لآثارها الحميدة في الدّنيا والآخرة، وتجنب الأخلاق السّيئة لعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

وإذا وُفق العبد للخلق الحسن فقد رزق خيرًا عظيمًا وفتح له باب توفيق للترقي في مراتب البر والإحسان.

أولًا: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحًا:

الخلُق لغة هو: «الدين والطبع والسجية»[١].

واصطلاحًا: «هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقًا سيئًا»[٢].

وعُرفت الأخلاق بأنها: «غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتُقهر بالاضطرار»[٣].

والخلق الحسن هو: «بذل الندى، وكف الأذى، وهو: فك الكف، وكف الفك. وقيل: بذل الجميل وكف القبيح، وقيل: التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل»[٤].

ثانيًا: مفهوم القيم لغةً واصطلاحًا:

القيم في اللغة: جمع قيمة من مادة (ق و م) التي تدل على العزم، والقيمة: ثمن الشيء، وتأتي بمعنى الاستقامة والتقويم، ففي الحديث: «غلا السعر على عهد رسول الله

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٨٦).
(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي (٣/ ٥٣).
(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، لمحيي هلال السرحان (ص٥).
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروز آبادي (٢/ ٥٦٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا له: لو قومت لنا سعرنا، قال: «**إن الله هو المقوم، أو المسعر، إني لأرجو أن أفارقكم، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة، في مال ولا نفس**»(١).

قال الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١] أي: ثابتًا مقومًا لأمور معاشهم ومعادهم(٢).

ويتضح مما سبق: أن معنى القيم في اللغة يدور حول: الثمن والقدر، والثبات والديمومة على الشيء.

واصطلاحًا: «مستوى أو مقياس أو معيار يُحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه»(٣).

تعريف القيم الإسلامية:

مما سبق من تعريفات يمكن تعريف القيم الإسلاميّة بأنها: المبادئ والأخلاق المستمدة من الإسلام والتي تنظم علاقة الإنسان بربه ونفسه والنّاس وبيئته والكون والحياة.

(١) مسند أحمد، برقم الحديث: (١١٨٠٩). وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره (١٨/ ٣٢٨).
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٦٩١).
(٣) ينظر: التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، لمحمد إبراهيم كاظم (ص١١١).

المبحث الثاني

الأخلاق في الإسلام

أولًا: فضل الأخلاق في الإسلام:

يتجلى فضل الأخلاق في الإسلام في النقاط الآتية:

١. أمر الله بالخلق الحسن:

القول الليّن والكلمة الطيبة من الخلق الفاضل وهو مما أمر الله بقوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أي: «كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف»(١).

٢. ثناء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على رسوله بأسمى الأخلاق وأزكاها وأفضلها:

أثنى الله بأفضل وأعظم ثناء على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، قال ابن عباس: إنك على دين عظيم، وهو الإسلام(٢)، ووصفت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا خلقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولها: «فإن خلق نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن».

٣. بعث الله نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتمم مكارم الأخلاق والقيم:

من أهم غايات بعثة الرسول الكريم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدّعوة للأخلاق، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**».

٤. الخلق الحسن تأسي بالنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حسن الخلق والأدب هو مقام الاقتداء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع لسنته، وقد أمرنا الله بالاقتداء بالرسول محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، جاء في التفسير:

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٣١٧).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٣/ ٥٢٩).

«فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة»[(١)]. وقد قررت هذه الآية الكريمة قاعدة منهجية عامة وهي السّير على منهاج النبوة والاقتداء به في كل شيء ومن ذلك خلقه ﷺ.

٥. الأخلاق الحسنة من كمال الإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[(٢)].

٦. صاحب الخلق الحسن أقرب إلى رسول الله ﷺ:

أولى النّاس بالنبي محمد ﷺ وأقربهم منزلة إليه يوم القيامة أحسنهم خلقًا، قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: **المتكبرون**»[(٣)].

٧. الخلق الحسن يثقل الميزان بالحسنات والدرجات العلى:

ينال المسلم بحسن خلقه درجة الصائم القائم، قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[(٤)]، وقال أيضًا: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»[(٥)]، ولذا كان من دعائه ﷺ: «**اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي**»[(٦)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٦٦٠).
(٢) أخرجه أبوداود في سننه، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم الحديث (٤٦٨٢) (٤/ ٢٢٠).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في معالي الأخلاق، برقم الحديث (٢٠١٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٣/ ٤٣٨). وصححه الألباني في الأدب المفرد (ص٤٤٣).
(٤) أخرجه أبوداود في سننه، باب حسن الخلق، برقم الحديث: (٤٧٩٨). وقال شعَيب الأرنؤوط، حديث صحيح لغيره (٧/ ١٧٧).
(٥) أخرجه أبوداود في سننه، في باب في حسن الخلق، برقم الحديث (٤٧٩٩) وقال شعَيب الأرنؤوط، إسناده صحيح (٧/ ١٧٧).
(٦) أخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده، برقم الحديث (٣٧٢). (ص٢٩١). وضعفه الألباني في الكلم الطيب (ص١٧١).

هذه نبذة يسيرة في فضل الأخلاق والقيم في الإسلام، وحسبك أيها المبارك أن تقرأ هذه النصوص الجميلة المحببة إلى النفس، وأن تستسلم لها بقلبك وجوارحك لتسعد في الدارين.

ثانيا: إضاءات من أقوال السّلف حول الأخلاق والقيم الإسلامية:

للعلماء آثار مهمة في التحلي بالخلق الحسن ومن تلك الآثار ما يأتي:

١. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»(١).

٢. قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب».

٣. قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة»(٢).

ثالثًا: أخلاق يحبها الله وأخلاق لا يحبها الله:

أخلاق يحبها الله تعالى ورد ذكرها في القرآن الكريم:

أورد القرآن الكريم آيات عديدة تبين محبة الله للأخلاق الحسنة ومن ذلك:

١. الإحسان فالله يحب المحسنين قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

٢. التّوبة فالله يحب التّوابين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٣. التقوى فالله يحب المتقين قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

٤. التّوكل على الله فالله يحب المتوكلين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ص٥٤).

(٢) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور (٢٩/ ٦٤).

٥. الله يحب المقسطين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

٦. الجهاد فالله يحب المجاهدين في سبيله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤].

٧. الطّهارة فالله يحبّ المطّهّرين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٨. الصبر فالله يحب الصابرين قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٩. الله يحب المتبعين لرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

أخلاق لا يحبها الله تعالى ورد ذكرها في القرآن الكريم:

كما بين القرآن كذلك بعض الأخلاق والصّفات التي لا يحبها الله ومن ذلك:

١. الاعتداء فالله لا يحب المعتدين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

٢. الفساد فالله لا يحب الفساد والمفسدين قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥].

٣. الكفر فالله لا يحب الكافرين قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

٤. الظلم فالله لا يحب الظالمين قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧].

٥. الخيلاء فالله لا يحب كل مختال فخور: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

٦. الخيانة فالله لا يحب الخائنين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

٧. الله لا يحب الجهر بالسوء من القول قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨].

٨. الإسراف فالله لا يحب المسرفين قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

٩. التكبر فالله لا يحب المستكبرين قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣].

المبحث الثالث

طرق اكتساب الأخلاق والقيم الفاضلة

أولًا: أقسام الأخلاق والقيم من حيث الاكتساب:

تنقسم الأخلاق والقيم باعتبار سلوك الناس وتصرفاتهم ومعاملاتهم إلى قسمين:

١. أخلاق فطريّة جبليّة وهي: التي جبلها الله على الإنسان منذ ولادته.

٢. أخلاق مكتسبة وهي التي يكتسبها الإنسان بالتّكلف، ورياضة النّفس ومجاهدتها.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم، والأناة.** فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ فقال: **بل جبلك الله عليهما.** فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله»[(١)].

فالأخلاق منها ما يكون جبليًّا قد طبع عليه المرء، ومنها ما يكون كسبيًّا يقع له بالتّخلق والتّكلف، حتى يصير له سجية وملكة، يؤكد ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما العلم بالتّعلم، والحلم بالتّحلم**»[(٢)]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الطويل: «**ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب، ومنهم سيئ القضاء حسن الطلب، ومنهم حسن القضاء سيئ الطلب، فتلك بتلك، ألا وإن منهم السيئ القضاء السيئ الطلب، ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، ألا وشرهم سيئ القضاء سيئ**

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم الحديث (٥٨٤)، وقال المحقق: صحيح. (ص٣٠٢).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، برقم (٢١٠٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٦١).

الطلب منه»[(١)]، وقوله: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(٢)]، وقال أيضًا: «**إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**»[(٣)].

ثانيًا: الوسائل المعينة على اكتساب الأخلاق والقيم الإسلاميّة:

اكتساب الأخلاق والقيم الحسنة والتخلص من الأخلاق السيئة أمر يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة وهو يسير على من يسره الله عليه ومما يعين في تحقيق ذلك الأمور الآتية:

١. الدّعاء والتّضرع إلى الله:

الدّعاء من أعظم الوسائل المعينة على اكتساب الأخلاق الفاضلة ولذا كان من دعاءه ﷺ: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبّيك وسعديك، والخير كلّه في يديك، والشر ليس إليك**»[(٤)].

٢. التدريب العملي ومجاهدة النّفس:

اكتساب الخلق الحسن يحتاج إلى مجاهدة وتدريب ورياضة نفسية، وصبر وتحمل، حتى تعتاد هذه النفس الأخلاق الكريمة وتستقيم عليها، وتبتعد عن الأخلاق الذميمة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، برقم الحديث (٢١٩١)، (٤/ ٤٨٣). قال الألباني: ضعيف لكن بعض فقراته صحيح (٤/ ٤٨٣).

(٢) صحيح مسلم، باب الأرواح جنود مجندة، برقم الحديث (١٦٠) (٤/ ٢٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، برقم الحديث: (٢٧٥) قال الألباني: صحيح موقوف في حكم المرفوع (١٠٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، برقم الحديث: (٨٠٣) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١/ ٥١٦).

وفي هذا يقول نبينا الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتّحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**».

٣. المحاسبة:

تحتاج النفس إلى المحاسبة المستمرة حتى تكتسب الأخلاق وتتعود عليها. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**»(١).

٤. مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:

مما يعين على اكتساب الخلق والقيم الفاضلة مصاحبة أصحاب الأخلاق الحسنة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة**»(٢).

٥. النظر في سير الصحابة الكرام وأهل الفضل والخلق الكريم:

مداومة القراءة قي سيرة أهل الفضل والخلق الكريم تعين في اكتساب الخلق الحسن والصحابة الكرام والتابعين أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، ورثوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديه، وسمته، وخلقه، فالنظر في سيرهم، والاطلاع على أحوالهم يبعث على التأسي بهم، والاقتداء بهديهم يقول الناظم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إنَّ التشبه بالكرام فلاح(٣)

٦. مطالعة كتب الآداب الشرعية والأخلاق:

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم الحديث: (٢٤٥٩) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، (٤/ ٦٣٨).
(٢) صحيح البخاري، باب المسك، برقم الحديث: (٥٥٣٤). (٧/ ٩٦). وصحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، برقم الحديث: (١٤٦) (٤/ ٢٠٢٦).
(٣) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر البتلوني (ص٩).

المطالعة في كتب الآداب والأخلاق يعين كذلك في اكتساب الأخلاق الحسنة والتخلص من الأخلاق السيئة.

إن اكتساب الأخلاق والتخلق بها من مقاصد الشريعة وأسس الدّين تجعل شخصية المسلم متكاملة متوازنة معتدلة والموفق من يجاهد نفسه في ذلك.

المبحث الرابع

مصادر القيم الإسلامية وأسسها وخصائصها

تستقي القيم والأخلاق الإسلامية مصادرها من دين الإسلام العظيم ولها أسس تقوم عليها، وخصائص تميزت بها عن غيرها من القيم وبيان ذلك في الأسطر الآتية:

أولًا: مصادر القيم الإسلامية:

تستمد القيم مصادرها من أصول الإسلام وهي:

١. القرآن الكريم:

وهو كتاب الله المنزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألفاظه ومعانيه، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلًا عن جيل محفوظًا من أي تغيير أو تبديل.

وكتاب الله هو المصدر الأساسي للقيم والأخلاق، فآياته تضبط اعتقاد المسلم وعبادته ومعاملاته، وتنظم علاقته بخالقه وبنفسه وبالناس، كما تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض في كافة مجالات الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

فالقرآن هو جامع لكل ما يحتاج إليه البشر لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، ولمعرفة خبايا النفس وشفاء أمراضها، وللهداية للصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

٢. السنة النبوية:

وهي ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية

أو خُلقيّة. وهي شارحة للقرآن الكريم، وقد أجمع المسلمون على مر العصور على أن «ما صدر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير، ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين، ومصدرًا تشريعيًّا يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين».

وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ باتباع الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وقال أيضًا: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠]، وقال كذلك: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

فالسنة هي المصدر الثاني من مصادر القيم في الإسلام، وقد حوت كمًّا كبيرًا منها.

٣. الإجماع:

هو: اتفاق المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حكم شرعي في واقعة معينة، في القول أو في الفعل أو في الاعتقاد.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»، قيل: هم أهل العلم.

ودور الإجماع في كونه مصدرًا من مصادر القيم هو حسم أي مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي.

٤. القيـاس:

القياس يفترض وجود حالة نقيس عليها، تمثل بها الحالة الجديدة، وعلى ذلك فالحالة الأصلية ينبغي أن يكون قد سبق لها ذكر في القرآن أو في السنة، أو في الإجماع، ولذا يعرف بأنه: «إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة بينهما»، وللقياس حجيته، ولهذه الحجية أدلتها من القرآن، والسنة، والإجماع.

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي، ولو آلو، فضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله**»[(١)].

ثانيًا: خصائص القيم الإسلامية:

تتميز القيم الإسلامية بمجموعة من الخصائص والسمات والمميزات التي تميزها وتجعلها مختلفة عن غيرها من القيم، وهي مستقاة من خصائص الإسلام، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١. الربانيـة:

القيم في الإسلام ربانية المنشأ، أي أنها من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمصدرها الأول كلام الله القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠]، وهذه الخاصية من أعظم مزايا القيم الإسلامية فالوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد غاياتها.

والقيم الإسلامية ربانية المصدر والمنهج والغاية والهدف:

فهي ربانية المصدر فمصدرها هو القرآن، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم الحديث (٣٥٩٢).

وهي ربانية المنهج قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وهي كذلك ربانية الهدف والغاية إذ تهدف إلى الغاية العظمى وهي مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وعبوديته قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وهذه الخصيصة العظيمة تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته، وشهوات نفسه، إلى عبودية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحده والاستسلام والخضوع التام له تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ويترتب على ربانية القيم الإسلامية ما يأتي:

- أن القيم تتسم بالعدل وتخلو من النقص والجور والهوى.
- أن القيم تتصف بالقدسية: لأنها تقوم على الإيمان، فكلما ازداد إيمان الفرد عمقًا ورسوخًا كملت أخلاقه وازداد تمسكًا بقيمه.
- أن القيم تنال ثقة المسلم: كونها مستمدة من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإن ذلك يؤدي إلى شعور عميق بالثقة الكاملة بها.

٢. الشمولية:

القيم في الإسلام لم تدع جانبًا من جوانب الإنسانية بجميع مجالاتها روحية أو جسدية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية، إلا رسمت له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع، فمنها ما يتعلق بالفرد في جسمه وعقله ونفسه، ومنها ما يتعلق بالأسرة كالعلاقة بين الزوجين والعلاقة بين الأبوين والأولاد، والعلاقة بين الأقارب والأرحام، ومنها ما يتعلق بالمجتمع في آدابه، وفي اقتصاده ومعاملاته، وفي سياسته وحكمه، ومنها ما يتعلق بالبيئة كالحيوان والطير، ومنها ما يتعلق بالكون، وبهذا يتجلى شمول القيم من حيث موضوعها ومحتواها.

٣. العالميّة:

تتميز القيم الإسلامية بالعالمية، فهي لا تقتصر بعلاقة المسلم بأخيه المسلم بل تشمل

علاقته وتعامله مع غير المسلم، كما أنها تشمل علاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات ويتضمن ذلك قيم الدولة المسلمة ونظامها الأخلاقي ومعاملاتها مع غيرها من الدول في السلم والحرب وكافة الظروف.

٤. الوسطيّة:

تتميز القيم الإسلامية بوسطيتها فهي وسط بين الإفراط والتفريط، كما أنها تفي بحاجات الروح والجسد والعقل في آن واحد، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أمة وسطًا أي: خيارًا عدولًا، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلا طرفي الأمور ذميم، وخير الأمور أوسطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسطٌ بين طرفي إفراط وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين»(١).

٥. الثّبـات:

من خصائص القيم الإسلامية الثّبات فهي لا تتغير بتغير الزّمان أو المكان أو الأحوال أو الأشخاص وهي ثابتة في حالة السلم والحرب، فالعدل والصدق والأمانة وغيرها من الأخلاق ثابتة مع الصديق والعدو بل حتى في حالة القتال مع الأعداء.

ثالثًا: أسس القيم الإسلاميّة:

يمكن إجمال الأسس التي قامت عليها القيم الإسلاميّة في خمسة أسس هي:

١. الأساس العقدي:

القيم تنبع من عقيدة الإسلام، فالوحي هو الذي وضع أصولها، ورسم حدودها، لبناء شخصية المسلم، وعلى الأساس الاعتقادي ترتكز جميع الأسس الأخلاقية الأخرى، وكما أن الأخلاق لا تقوم في مجتمع بصورة تطبيقية إلا في وجود عقيدة آمرة بها، كذلك تستند العقيدة في قيامها على الأخلاق.

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم (ص٢٢٠).

٢. الأساس الفطري:

الفطرة هي: الخلقة التي خُلق عليها الإنسان، وتتضمن الطبائع الأصلية في النفس، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]، وقال أيضًا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧].

والفطرة في الإسلام تقبل التوجيه والتعديل، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠]، والإسلام يدعو إلى تزكية النفس وتهذيبها وتوجيهها نحو الصلاح، فهو ينظر إلى الطبيعة الإنسانية، على أنها خيّرة في الأصل، لولا الذي يكتنفها من فتن الدنيا وحيل الشيطان، وفي الحديث القدسي قال الله: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرّمَت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانًا».

٣. الأساس العلمي:

القيم الإسلامية تقوم على أساس علمي، يتفق مع سنن الله الكونية، فهي لا تقوم على فراغ وإنما على أساس رؤية شمولية للكون، وبقدر ما تكون الرؤية كاملة في بنائها، منبثقة من العلم الشامل بحقيقة الإنسان والكون والحياة، بقدر ما يكون نسق القيم القائم عليها مستجيبًا لحاجات الإنسان ولحبه العميق للحق والفضيلة.

٤. الأساس الإلزامي:

الإلزام الخلقي هو: أمر بالفضيلة الخلقية بمعنى وضع تشريع خلقي، وتكليف الإنسان الأخذ به والعمل بمقتضاه مع مسؤوليته عن هذا التكليف، ويؤدي فقد الإلزام إلى ضعف النظام الأخلاقي، وبدون الإلزام تتفشى الفوضى، ويفسد نظام المجتمع.

٥. الأساس الجزائي:

الأساس الجزائي: هو ما يجب أن يناله الإنسان عن عمله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، سواء أكان ذلك الجزاء ماديًّا أو معنويًّا في هذه الحياة أو الحياة الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقال أيضًا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨].

المبحث الخامس

أهمية الأخلاق والقيم للفرد والمجتمع

عنوان الأمة ومجدها وعلامة سعادتها ونجاحها وقوتها يرجع إلى القيم والأخلاق الفاضلة، وسقوط المجتمعات وفشلها يرجع إلى انهيار قيمها ومعاييرها الأخلاقية.

والأخلاق الفاضلة تأتي بمنزلة الرأس من الجسد؛ ذلك أن القيم والأخلاق الفاضلة في الأفراد والمجتمعات تمثل معاقد ثابتة في العلاقات الإنسانية؛ متى انعدمت تكسرت روابط التآلف وتقطعت الصلة بينهم، فالأخلاق تاج العلوم وزبدتها.

وصدق أحمد شوقي في قوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضًا:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مآتما وعويلا[1]

وتتضح أهمية القيم للفرد والمجتمع في النقاط الآتية:

أولًا: أهمية القيم للفرد:

١. سلامة الاعتقاد وتحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ:

هدف القيم الإسلامية هو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، واتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومعايير الأخلاق وقيمها جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لذا كان الالتزام بها طاعة لله وواجبًا، يستحق فاعله دخول الجنة، كما يستحق من خالفها وأخذ برذائل الأخلاق؛ العقوبة والمقت.

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي حسين المهدي (ص٦٨٨).

٢. تكوين الشخصية المسلمة:

إن تحديد الإسلام لقيمه ومبادئه وإلزام المسلم بالتمسك بهما، يهدف إلى تكوين المسلم الخيّر الصالح الواعي، لذلك لم تترك هذه القيم جانبًا من جوانب حياة المسلم، إلا ودعمتها، وبينت ميزانها فيه؛ ليسير على منهجها، فتغرس في نفسه رهافة الحس وشفافية الذوق والضمير والإحساس بالآخرين والإحسان إليهم، كما أنها تعينه على التغلب على نوازع الشر، والسمو بها إلى المستوى اللائق بكرامة المسلم، وتوجيهها نحو طريق الخير.

٣. تحقيق السعادة:

غاية القيم الإسلامية نيل المسلم رضا الله وتحقيق السعادة والطمأنينة في الدارين، وإذا كانت الغاية القريبة للقيم الأخلاقية هي تكوين الإنسان الصالح؛ فإن غايتها البعيدة هي الوصول بالمسلم إلى سعادة الدارين.

٤. تزكية النفس والبعد عن الشهوات:

هدف وغاية الدين تزكية النفس قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، ولذا فإن من أعظم ما تحققه القيم الإسلامية هو حفظ المسلم عن الشهوات المحرمة والشبهات المضلة، ولذا فالقيم ترتقي بنفس المسلم إلى مراتب عليا من السمو وتعينه على التخلص من رذائل الأمور.

ثانيًا: أهمية القيم للمجتمع:

١. ربط المجتمع بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح:

تهدف القيم الإسلامية إلى البناء العقدي السليم والسلوك الحسن في المجتمع ولذا فهي تحفظه من الخرافة والشعوذة، وتحارب الغلو والتطرف، وتسعى إلى تحصينه من الانفلات الأخلاقي والفكري ووقايته من الفتن يقول طلق بن حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى. قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله».

وتعمل القيم الإسلامية كذلك على سلامة المجتمع من مساوئ الأخلاق ورذائلها وفي ذلك قضاء على الجريمة والانحراف بجميع صوره وبذلك تبني الأخلاق مجتمعًا ملتزمًا بالخير متجنبًا للشر.

٢. توحيد الطاقات نحو الرقي بالمجتمع:

القيم الإسلامية تحفظ نشاط المسلم من الاضطراب والتناقض؛ إذ تحقق في ذاتها عنصر الثبات والوحدة والقوة والدوام، وتوجه المجتمع نحو الرقي، فما هو فضيلة اليوم يظل كذلك دائمًا، وما هو رذيلة اليوم سيظل كذلك أبدًا، وبذلك يبتعد المجتمع في سلوكياته عن التناقض والاضطراب، ويوحد المعيار الخلقي والميزان السلوكي لديه وبذلك تتوحد الجهود والطاقات نحو الخير في كافة المجالات.

٣. بناء حضارة إنسانية:

القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة تبني المجتمع وتؤدي إلى تقدمه وتبعث فيه روح الطمأنينة وتقوده إلى الرقيّ في كافة المجالات، فالتقدم المادي والحضاري يكون نتيجة سيادة الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا يتحقق هذا وأمثاله إلا بانتشار الأخلاق والتعاون المثمر والقيام بالواجبات. فالقيم الإسلامية في جميع جوانبها تبني الحضارة الإنسانية وتدعم رقيها فهي تحث على العلم، والاستزادة منه والعمل به، وفي جانبها الاقتصادي، تحذر من الشح والإسراف والتبذير، وتأمر بالأمانة والصدق والعدل، وفي مجال الصحة تأمر بالطهارة والنظافة، والبعد عن الفواحش، والاعتدال في المأكل والمشرب، فهي تدعو إلى كل خير وفضيلة وتحذر من رذيلة.

٤. حفظ الضروريات الخمس:

تُعنى القيم الإسلامية برعاية مقاصد الإسلام في حفظ الضروريات الخمس، وهي الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهذه الضرورات يحتاجها الفرد والمجتمع

إذ بزوالها وتزعزعها لن يكون هناك استقرار للمجتمع، فانتشار الرذيلة والأخلاق الفاسدة يسبب العداوة والظلم بين الناس ويمزق وحدة المجتمع وبناءه، ولذا فالقيم تعنى بحفظ هذه الضروريات الخمس التي يقوم عليها سلامة المجتمع وأمنه واستقراره وطمأنينته.

٥. نشر الرحمة في المجتمع:

تحقق القيم الإسلامية توثيق العلاقة بين المسلمين حيث تدعو إلى التراحم والتعاطف ونشر المحبة بينهم فيتحقق بينهم التعارف والتعاون، وتزداد الألفة والمودة في المجتمع قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(١)]. والحديث النبوي يرشد إلى التراحم والحب والعاطفة؛ بأن يرحم الناس بعضهم بعضًا بأخوة الإسلام، وأن يستشعروا آلام بعضهم ومصائبهم بالعون والمساعدة.

(١) صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: (٢٥٨٦). (٤/ ١٩٩٩).

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. عرّف الأخلاق والقيم لغةً واصطلاحًا؟
٢. أذكر خمسة نقاط تبيّن أهمية الأخلاق في الإسلام؟
٣. للسّلف أقوال في الأخلاق والقيم بيّنها؟
٤. أذكر أدلة من القرآن الكريم على خمس من الأخلاق التي يحبها الله وخمس من الأخلاق التي لا يحبها الله.
٥. ما أهمّ طرق اكتساب الأخلاق والقيم الفاضلة؟
٦. بيّن الوسائل المعينة على اكتساب الأخلاق والقيم الإسلاميّة؟
٧. عدد مصادر القيم وأسسها وخصائصها.
٨. وضحّ أهميّة القيم للفرد والمجتمع.

الفصل الثاني

أصـــول الأخـــلاق
(القيم العليا)

المبحث الأول: الإخلاص.

المبحث الثاني: الإحسان.

المبحث الثالث: العدل

المبحث الرابع: الصدق

المبحث الخامس: الصبر.

المبحث السادس: تزكية النفس.

المبحث السابع: العفة.

المبحث الثامن: الأمانة.

المبحث التاسع: الرحمة.

الفصل الثاني

القيم العليا (أصول الأخلاق)[١]

المبحث الأول

قيمة الإخلاص

الإخلاص أساس مكين وعمود متين في دين الاسلام، عليه يقوم الدين، وبه يصلح باطن المسلم وظاهره، وعليه يُبنى الإيمان والعبادة، وبدونه لا يقبل الله العمل قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥].

فقيمة الإخلاص من أهم القيم وأسماها وأعلاها وأكبرها بل هي رأسها وأساسها فهي سمة الصالحين وشعار حزب الله المفلحين ودليل محبة الله لعبادة الموقنين وقوة يقين وإيمان بقرب الرب الكريم.

فالإخلاص أمره عظيم وشأنه عزيز ومنزلته عالية، وهو أمر في أعماق القلب لا يطلع عليه إلا الله، ولذلك لا يقبل الله عمل الإنسان إلا إذا كان خالصًا لوجه سبحانه.

وحقيقة الإخلاص: أن تكون أفعال الإنسان وأقواله وحركاته وسكناته ونومه وأكله وشربه ودخوله وخروجه وكل أمره لله وحده، محتسبًا في ذلك كله الأجر من الله سبحانه ومستشعرًا اطلاع الله عليه في كل لحظة ودقيقة، قال سبحانه على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إمام المخلصين وقدوة العالمين: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٣].

---

(١) هي القيم الكبرى التي يعبر عنها بأمهات الأخلاق والقيم، وهي في الغالب داخلة في جميع مجالات القيم وتصنيفاتها، وكل المجتمعات والبيئات تعتني بها وتنشدها.

فالإخلاص لبُّ العبادة وعنوان السعادة وروح كل الأعمال وهو أمر في القلب لا يطلع عليه إلا الله.

أولًا: مفهوم الإخلاص لغةً واصطلاحًا:

الإخلاص لغةً: الصفاء من الكدر والشوائب[(١)].

واصطلاحًا: إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وقيل: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[(٢)].

ثانيًا: أهمية قيمة الإخلاص:

وتتجلى مكانة قيمة الإخلاص في النّقاط الآتية:

١. أمر الله به نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

٢. أمر الله به المؤمنين:

قال عز شأنه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

٣. الإخلاص منجاة من إضلال الشيطان وإغوائه:

قال عز شأنه: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، فبين أن سلطان الشيطان وإغواءه إنما هو لغير المخلصين[(٣)].

٤. نيل شفاعة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قلت يا رسول الله؛ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟! فقال: لقد ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما

(١) لسان العرب (٧/ ٢٧) والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٧٧).
(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٩١).
(٣) أمراض القلوب وشفاؤها، لابن تيمية (ص٥٩).

رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قِبَل نفسه».

٥. الإخلاص يُطهّر القلبَ مِن الحقد والغلِّ والخيانة:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(١).

٦. الإخلاص سبب لكسب الخير والدرجات والرفعة في الدّنيا والآخرة:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنك لن تخلف، فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيرًا، ودرجة ورفعة**»(٢).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الإخلاص:

١. قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: «هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا. لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يقبل. حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة».

٢. قال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

٣. قال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء».

٤. قال الجنيد: «الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده. ولا هوى فيميله»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (رقم الحديث، ٢٦٥٨).
(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب رثى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خزامة بن سعد، رقم الحديث (١٢٣٣).
(٣) مدارج السّالكين، لابن القيم (٢/ ٩٣).

٥. قال ابن القيم: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه»[(١)].

رابعًا: خطورة الرياء:

الرياء ضرره كبير وخطره جسيم فهو ممحق للعمل وجالب لسخط الله، وقد حذّر النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرياء وبين خطورته وأنّه يخاف منه على أمته أعظم من المسيح الدّجال حيث قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**». قال: قلنا: بلى، فقال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل**»[(٢)]، وقال أيضًا: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملًا فأشرك فيه غيري تركته وشركه**»[(٣)].

فعلى المسلم أن يستيقن أن الله هو الذي يرفع ويخفض ويعز ويذل ويعطي ويمنع ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا وقر ذلك في قلبه أورثه إخلاصًا لا محالة.

(١) الفوائد، لابن القيم (ص٤٩).
(٢) رواه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، رقم الحديث (٤٢٠٤).
(٣) صحيح مسلم، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم الحديث (٤٦)، (٤/ ٢٢٨٩).

المبحث الثاني

قيمة الإحسان

من خصائص هذا الدين شموليته لمصالح الدين والدنيا، ويُعد الإحسان من القيم الأساسية التي حث عليها الإسلام، بل جعله أحد مراتب الدين، وأعلاها وأفضلها؛ لكونه محل مراقبة العبد لربه، فإذا استشعر العبد مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ صلح حاله في الدنيا والآخرة.

أولًا: مفهوم الإحسان لغة واصطلاحًا:

الإحسان لغة: ضد الإساءة[١]، والحسنة ضد السيئة[٢].

واصطلاحًا: قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

ثانيًا: أهمية قيمة الإحسان:

وتتجلى مكانة قيمة الإحسان في النّقاط الآتية:

١. أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالإحسان:

قرأ الحسن البصري هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] الآية، فقال: «إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة فو الله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ إلا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه».

٢. محبة الله للمحسن ومعيته له:

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ومن كان الله معه فإنه لا يخاف بأسًا ولا رهقًا.

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص١٩٣).

(٢) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٤/ ٤٢٢).

٣. عاقبة المحسن الجنة:

قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقال أيضًا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٦].

٤. المحسن ينال من الله العلم والحكمة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٢٢]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦].

٥. المحسن في مأمن من الخوف والحزن:

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

٦. كتب الله الإحسان على كل شيء:

قال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»(١).

وقد أمر الله سبحانه بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣]، ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار(٢).

والنبي ﷺ كان نموذجًا فريدًا في الإحسان في كل شأنه وحياته، فعن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أنه قال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»(٣).

---

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (١٩٥٥).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٥٧).
(٣) المسند، أحمد بن حنبل (١/ ٧٠).

٧. الإحسان يستر العبد من النار:

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثته. فقال: «**من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**»(١).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الإحسان:

١. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده»(٢).

٢. وقال أيضًا: «الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم وتركه يوجب الضيم والضيق ويمنع وصول النعم إليه فالجبن ترك الإحسان بالبدن والبخل ترك الإحسان بالمال»(٣).

٣. وقال أيضًا: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان؛ وهي لب الإيمان وروحه وكماله وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منطوية فيها وكل ما قيل من أول الكتاب إلى هاهنا فهو من الإحسان»(٤).

٤. قال الفيروز ابادي: «الإحسان من أفضل منازل العبودية؛ لأنه لب الإيمان وروحه وكماله. وجميع المنازل منطوية فيها»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٥)، (٨/ ٧).
(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (ص٦٩).
(٣) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص٤٦٠).
(٤) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٣١٩).
(٥) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٢/ ٤٦٥).

رابعًا: أنواع الإحسان:

والإحسان قسمان:

١. إحسان مع الخالق:

بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

٢. إحسان مع الخلق:

وهو بذل المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون. قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ويشمل ذلك الإحسان إلى الوالدين، والأهل والأقرباء والأرحام، والجيران والأصدقاء، والفقراء والمساكين واليتامى، والحيوان والنبات، والإحسان في القول والعمل.

أبيات عن الإحسان:

قال أبو الفتح البستي:

أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهم ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

أَحْسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقْدِرَةٌ ... فلن يدومَ على الإنسان إمكانُ

وقال الشاعر:

مَن يغرسِ الإحْسَانَ يجنِ محبَّة ... دونَ المسيءِ المبعدِ المصرومِ

المبحث الثالث

قيمــة العــدل

العدل قيمة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان، وقد عمل الإسلام على إثباتها، وإرسائها بين الناس، وقد أوجب الله العدل وجوبًا مطلقًا وأمر بتحقيقه في الأقوال والأفعال والمعاملات والحكم والقضاء، والشهادة، وكتابة العهود والمواثيق وكافة الأعمال.

أولًا: مفهوم العدل لغةً واصطلاحًا:

العدل لغة: خلاف الجور، وهو ضد الظلم[(١)].

العدل اصطلاحًا: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه[(٢)]. وقيل هو: القصد في الأمور، والإنصاف والمساواة بين الناس[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة العدل:

تتجلى مكانة قيمة العدل في النّقاط الآتية:

١. العدل صفة من صفات الله:

قال سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام:١١٥].

٢. أمر الله رسوله ﷺ بالعدل:

فقال عز من قائل: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥]، وقال أيضًا: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (٥/ ١٧٦٠).

(٢) الأخلاق والسير لابن حزم (ص٨١).

(٣) الأخلاق الإسلامية، لحسين المرسي (ص١١٠).

٣. أمر الله به العباد:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، قال السعدي: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه مع جميع الناس حتى مع الأقربين»[(١)]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

٤. العدل من الأعمال الصالحة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨]، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «**تعدل بين اثنين صدقة**».

٥. أرسل الله رسله وأنزل معهم ميزان العدل، ليقوم الناس بالقسط:

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد:٢٥].

٦. العدل دليل التقوى:

قال سبحانه: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

٧. العادل جزاؤه الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن** عَزَّوَجَلَّ **وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٤٧).

(٢) رواه مسلم، باب الإمام العادل، برقم الحديث (٤٧٤٨)، (٤/ ١٤٥٨).

٨. أخذ النبي ﷺ على أصحابه البيعة على العدل:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لاننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»(١).

٩. طبق النبي ﷺ العدل في حق نفسه وأهل بيته:

قال ﷺ: «**من كنت جلدت له ظهره فهذا ظهري فليستقد منه، ألا ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ألا لا يقولن رجل إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ حقا إن كان له، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس**» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، قال: «**أما إنا لا نكذب قائلًا ولا نستحلفه، فبم صارت لك عندي؟**» قال: تذكر يوم مر بك مسكين، فأمرتني أن أدفعها إليه، فقال: «**ادفعها إليه يا فضل**»(٢).

١٠. حذر الله من الظلم:

حذر الله من الظلم والجور وبين أنه لا يحب الظالمين، قال سبحانه: ﴿ **وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [آل عمران:٥٧]، وتوعد الظالمين بالقصاص يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾ [إبراهيم:٤٢]، جاء في الحديث القدسي قوله: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**»(٣)، كما حذر النبي ﷺ من الظلم بقوله:

---

(١) أخرجه النسائي، باب البيعة على القول بالعدل، برقم الحديث (٤١٥٣)، وصححه الألباني، في تعليقه على السنن (٧/ ١٣٩).

(٢) المعجم الكبير، للطبراني (١٨/ ٢٨٠).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٦٦٦٤).

«**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[(١)]، وحينما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلى اليمن داعيًا إلى الله قال له: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[(٢)].

فالظلم سبب هلاك الأمم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة العدل:

١. قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه، وعلى الحقّ وإيثاره»[(٣)].

٢. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة»، وقال أيضا: «للدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام»[(٤)].

٣. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم»، وقال أيضًا: «إن جماع الحسنات العدل وجماع السيئات الظلم»[(٥)].

٤. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رسالته إلى أبي موسى الأشعري حين ولاه قضاء الكوفة: «فقد حمل القضاء أمانة تحقيق العدل، وإلى ساحته يهرع الناس جميعا يلتمسون فيه العدل والنصفة، فالناس كلهم في ساحته سواء، لا قوي لديه ولا ضعيف، ولا شريف أمامه ولا مشروف، لا يرهب أحد من قوته ولا يستخف بحق أحد لهوانه

(١) صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٦٦٦٨).
(٢) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم الحديث (٢٣١٦).
(٣) الأخلاق والسير، ابن حزم (ص٩٠).
(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٨/ ١٤٦).
(٥) أمراض القلوب وشفاؤها، ابن القيم (ص٧).

وضعف حيلته، فهو حصن الامان لمن داهمه الخوف، وهو سيف الحق يبتر كل يد تمتد الى حرمات الناس، لتهدر دماءهم أو تهتك أعراضهم، أو تستبيح مالهم، أو توهن من عزائمهم، في اتباع لمعروف أو نهي عن منكر»[1].

أبيات في العدل:

قال ابن حزم الأندلسي:

زمـــام أصـــول جـمـيـع الفضائل عـــــدل وفـــهـــم وجـــــود وبـــأس

فـمـن هـــذه ركـبـت غـيـرهـا فمن حـــازهـــا فـهـو فـــي الـــنـــاس رأس

وقال جميل الزهاوي:

العدل كالغيث يحيي الأرض وابله والظلم للناس مثل النار في القصب

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ٦٣٠).

المبحث الرابع

قيمة الصّدق

الصّدق قيمة سامية في الإسلام، أكد ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي جاءت بالدّعوة إلى الصدق وتحريه، معززةً لقيمة الصدق في جميع المجالات والسلوك، في الأقوال والأفعال، والمقاصد والنيات، والعبادات والمعاملات.

أولًا: مفهوم الصّدق لغةً واصطلاحًا:

الصّدق لغة: الجامع للأوصاف المحمودة، وهو خلاف الكذب[(١)].

الصّدق اصطلاحًا: استواء السّرّ والعلانية والظّاهر والباطن بألّا تكذّب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله[(٢)].

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله جَلَّ وَعَلَا فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق وما يعود عليه نفعه في داريه لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقًا فصدقًا وإن كذبًا فكذبًا»[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة الصّدق:

تتجلى مكانة قيمة الصّدق في النّقاط الآتية:

١. الصّدق من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

---

(١) لسان العرب (١٠/ ١٩٦).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢٤٧٤).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان (ص٥١).

٢. أمر الله عباده بالصّدق:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

٣. وعد الله الصادقين بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥].

٤. جزاء الصدق الجنة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة:١١٩].

٥. الترغيب في الصّدق والترهيب من ضدّه:

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عليكُم بالصدقِ، فإن الصدقَ يهدِي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصدقَ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ صديقًا، وإيَّاكُم والكذِبَ، فإنَّ الكذبَ يهدِي إلى الفجورِ، وإنَّ الفُجُورَ يهدِي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرَّجُلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ كذابًا**»(١).

وقال أيضًا: «**من قال لصبيٍّ: تعالَ هاكَ، ثُمَّ لم يُعطِهِ شيئًا فهي كِذبَةٌ**»، وقد جاء في رؤيا لرسول الله ﷺ بيان عقوبة الكذب، حيث قال: «**وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] وما ينهى عن الكذب، برقم الحديث (٦٠٩٤)، (٨/ ٢٥).

(٢) صحيح البخاري، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم الحديث (٤٥)، (٩/ ٤٤).

فتأمل أيها المسلم في قول حبيبك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**» وما يقع عبر وسائل التواصل الاجتماعي من تناقل لأقوال ومعلومات غير صحيحة، وقد يصحب ذلك شيء من حسن نيّه وقصد، ناهيك عما تحمله تلك الوسائل من التلفيق والكذب على الله ورسوله ودين الإسلام، وعلماء الأمة وولاة أمورها أو الدّعوة إلى الفحش والرذيلة.

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة الصدق:

١. قال أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة»[(١)].

٢. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب»[(٢)].

٣. قال الفضيل بن عياض: «ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب»[(٣)].

رابعًا: أنواع الصدق:

١. الصّدق مع الله: ويتضمن ذلك الإيمان الجازم به ولزوم طاعته وتجنب معصيته ومحبته والخوف منه وتعظيم شعائره ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته وحسن الظن به.

٢. الصّدق مع النّفس: ويتضمن ذلك العمل على تزكيتها وترقيها في مراتب الإيمان.

٣. الصّدق مع النّاس: ويتحقق بالبعد عن الكذب والإساءة إليهم، والوفاء بالوعد والعهد.

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/ ١٩٢).
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان (ص٥٥).
(٣) المرجع السابق (ص٥٢).

أبيات في الصّدق:

قال الشاعر:

عوِّد لسانك قولَ الصِّدق تحظَ به ... إنّ اللِّسانَ لِمَا عوّدتَ مُعتادُ

مُوكّل بتقاضي ما سننتَ له ... في الخير والشرّ، فانظُر كيف تَرتادُ

وقال آخر:

ما أحسنَ الصِّدقَ في الدنيا لقائِلِهِ ... وأَقْبحَ الكِذْبَ عندَ الله والنّاسِ

المبحث الخامس

قيمــة الصبــر

قيمة الصبر من أهم القيم التي دعا إليها الإسلام وأمر بها ورغّب فيها، ولعظمها ومكانتها فقد وردت آيات الصبر في أكثر من تسعين موضعًا في كتاب الله، وذلك لأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وحياة الإنسان كلها بحاجة للصبر في كل لحظة وفي كل ساعة وفي كل زمان ومكان.

أولًا: مفهوم الصّبر لغةً واصطلاحًا:

الصّبر لغة: الحبس والتّحمل[(١)]، وهو نقيض الجزع[(٢)].

واصطلاحًا: حبس النفس عن التّسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كلطم الوجه وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاث، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة منحة، وأصبحت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة الصّبر.

تتجلى قيمة الصّبر في النّقاط الآتية:

١. أمر الله نبيه والمؤمنين بالصبر:

قال سبحانه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال أيضًا: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال كذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

---

(١) لسان العرب، مادة صبر (٤/ ٤٣٨).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٥٠٥)، والقاموس المحيط (ص٤٢٢).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية (ص٥).

٢. ثناء الله على الصّابرين ومحبته ومعيته لهم:

فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١١٧]، وبين محبته لهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]، وبين معيته لهم بقوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]. وبيَّن خيرية الصبر بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، وبيَّن أجر الصبر بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠].

٣. الصّبر يكفر الذنوب:

البلاء ينقي المسلم من درن الذنوب، فيكون العبد بذلك طاهرًا نقيًّا من الخطايا مُقرّبًا من الله، قال ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته**»(١)، وقال أيضًا: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**»(٢)، وقال كذلك: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»(٣).

٤. الصّبر يزيد المؤمن رفعة:

بالصّبر يزداد المسلم قربًا من الله تعالى؛ لأنّ المسلم إذا كان الله قد اختار له مَنزلةً رفيعةً عنده ثم لم يُبلغها بالعمل الصالح فإن الله يبتليه حتى يصل إلى تلك المنزلة، قال رسول الله ﷺ: «**إن العبدَ إذا سَبَقت له من الله عَزَّوَجَلَّ منزلةٌ لم يَبلُغها بعملِه، ابتلاه اللهُ جل وعز في جسده، أو في مالِه، أو في ولِده ثم صَبَّرَه على ذلك حتَّى يُبلغهُ المنزلةَ التي سبقت له من الله جل وعز**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، برقم الحديث (٥٢)، (٢/ ١٩٩٢).
(٢) صحيح البخاري، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم الحديث (٥٦٤٥)، (٧/ ١١٥).
(٣) أخرجه أبوداود، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم الحديث (٢٣٩٩).
(٤) أخرجه أبوداود، باب إذا كان الرجل يعمل عملًا صالحًا فشغله عنه مرض أو سفر، برقم الحديث (٣٠٩١)، حسن لغيره.

٥. الصّبر خير للمؤمن:

الصّبر دليلٌ على قوة وصدق الإيمان، وذلك لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له**»(١)، فالمؤمن إن أصابه ضرٌّ أو بلاءٌ علم أن الله وحده من قدّر ذلك؛ فصبر على قضاء الله وقدره، وإن أصابه خيرٌ علم أن الله عَزَّوَجَلَّ هو من يسَّر له ذلك الخير فشكره على ما أنعم به عليه، وكان ذلك أيضًا خيرًا له.

٦. الصبر أفضل العطاء:

الصّبر أفضل ما يُعطى العبد، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن ناسًا من الأنصارِ، سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعْطَاهم، ثم سألُوهُ فأعْطاهم، حتى نَفِدَ ما عندهُ، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»(٢).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الصبر:

١. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أنَّ الصبر كان من الرجال كان كريمًا».

٢. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

٣. قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزع منه، ثم قرأ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) صحيح مسلم، باب المؤمن أمره كله خير، برقم الحديث (٦٤)، (٤/ ٢٢٩٤).
(٢) صحيح البخاري، باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٦٩)، (٢/ ١٢٢).

٤. قال إبراهيم التيمي: «ما من عبد وهب الله له صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاء، وصبرًا على المصائب، إلا وقد أُوتي أفضل ما أوتيه أحد، بعد الإيمان بالله».

٥. قال شريح: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني».

٦. قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوز للمسلم أن يكره الحياة ويأس فيما عند الله تعالى من فرجٍ وخير، والواجب عليه أن يصبر على ما يلاقيه من أقدار الله»[(١)].

رابعًا: أنواع الصبر:

الصبر ثلاثة أقسام:

١. الصبر على طاعة الله:

ومنها: الصبر على ما أمر الله به من صلاة وصوم وزكاة وقراءة للقرآن وبر للوالدين وصلة للأرحام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وغيرها من الطاعات.

٢. الصبر عن معصية الله:

ومنها: الصبر عما حرمه الشرع ونهى عنه وقبحه وازدراه، من الزنا والسرقة والغش والخيانة والكذب والنظر المحرم والغيبة والنميمة والظلم وغيرها من سيء الأخلاق.

٣. الصّبر على أقدار الله المؤلمة:

ومنها: الصّبر على البلاء والمصائب والهموم والأحزان والأكدار والفقر والجوع والمرض والخوف، وغيرها مما قد يعتري الإنسان في هذه الحياة.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٥/ ٣٩٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن استكمل هذه المراتب الثلاث، استكمل الصبر، ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيهما.. فالشجاعة والعفة، والجود والإيثار كله صبر ساعة»[١].

أبيات في الصّبر:

قال الشاعر:

أَلا فَاصبِر عَلى الحَدَثِ الجَليلِ ... وَداوِ جَواكَ بِالصَبرِ الجَميلِ

وَلا تَجزَع وَإِن أُعسِرتَ يَومًا ... فَقَد أَيسَرَت في الزَمَنِ الطَّويلِ

وَلا تَيأَس فَإِنَّ اليَأسَ كُفرٌ ... لَعَلَّ اللهَ يُغني مِن قَليلِ

وَلا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ غَيرَ خَيرٍ ... فَإِنَّ اللهَ أَولى بِالجَميلِ

وَإِنَّ العُسرَ يَتبَعُهُ يَسارٌ ... وَقَولُ اللهِ أَصدَقُ كُلِّ قيلِ

فَلَو أَنَّ العُقولَ تَجُرُّ رِزقًا ... لَكانَ الرِزقُ عِندَ ذَوي العُقولِ

وَكَم مِن مُؤمِنٍ قَد جاعَ يَومًا ... سَيُروى مِن رَحيقٍ سَلسَبيلِ

(١) الطبّ النبوي، لابن القيم (ص٢٥١).

المبحث السادس

قيمة تزكية النّفس

قيمة تزكية النفس من القيم الشريفة والأخلاق الفاضلة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مادحًا أصحابها ذامًّا لمن أهملها ودسها في سفاسف الأمور. وقد رغب الشارع في تزكية النفس وتطهيرها وتخليتها وتحليتها.

أولًا: مفهوم التزكيّة لغةً واصطلاحًا:

لغة: تدل على نماءٍ وزيادةٍ، ويُقالُ الطَّهارةُ زكاةُ المالِ. سُميت زكاةً لأنها طهارة[(١)]، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

والنفسُ: الروحُ[(٢)]، والمراد بها هاهنا: إصلاح النفوس وتطهيرها، عن طريق العلم النافع. والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات.

واصطلاحًا: التطهر من الأدناس والسمو عن النقائص. ولا أجل ولا أزكى من تعريف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتزكية في الحديث الوارد بقوله: «**أن يعلم أن الله** عَزَّوَجَلَّ **معه حيث كان**»[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة تزكية:

تتجلى قيمة تزكية النفس فيما يأتي:

١. صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه:

فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠]، وقال أيضًا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]، وهذا موسى

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧-١٨).
(٢) القاموس المحيط (١/ ٥٧٧).
(٣) أخرجه الطبراني، في المعجم الصغير (١/ ٣٣٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ دعى فرعون إلى التزكية بقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٨-١٩].

وقال الله تعالى عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

٢. تزكية النفس سبب وجزاء لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:٧٦]، كما أن تزكية النفس تعود على صاحبها بالخير، فهو الذي يجني ثمرتها في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨].

٣. من زكى نفسه وحرص عليها ذاق حلاوة الإيمان وطعمه:

قال رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله** عَزَّوَجَلَّ **وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم؛ فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها، وزكى نفسه**» فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ معه حيث كان»[(١)].

٤. دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتزكية نفسه:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه بتزكية نفسه، قائلًا: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، برقم الحديث (٥٥٥)، (١/ ٣٣٤). وقال الألباني في السلسة، هذا إسناد صحيح (٣/ ٣٨).

(٢) صحيح مسلم، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم الحديث (٧٣)، (٤/ ٢٠٨٨).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة تزكية النفس:

١. قال سفيان بن عيينة: «قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال»[(١)].

٢. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قد أَفْلح من زكى الله نَفسه وقد خَابَ من دس الله نَفسه فأضله»[(٢)].

٣. قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحذر الحذر من المعاصي، فإن عواقبها سيئة، وكم من معصية لا يزال صاحبها في هبوط أبدًا، مع تعثير أقدامه، وشدة فقره، وحسراته على ما يفوته من الدنيا»[(٣)].

٤. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّاعة تنوِّر القلب، وتجلوهُ وتصقله، وتقوِّيه وتثبِّته، حتَّى يصير كالمرآة المجلوَّة في جلائها وصفائها، فيمتلئ نُورًا؛ فإذا دنا الشَّيْطان مِنهُ أصابهُ من نوره ما يُصيب مُسْترق السَّمع من الشُّهب الثَّواقب»[(٤)].

رابعًا: كيفية تزكية النفس:

تزكية النفس يكون بطريقين:

الطريق الأول: التخلية:

وذلك بتخلية النفس من أمراض القلوب عمومًا ومن المعاصي وترك الفواحش والمنكرات وسفاسف الأمور والدنيء منها، والتطهر من الأدناس والسمو عن النقائص، وهي بذلك تأخذ عند الله حظها من الرضوان وعند الناس حظها من الكرامة.

والطريق الثاني: التّحلية:

ويكون بتحلية النفس بجميع أنواع العبادات وكريم الأخلاق ومعالي الأمور، من صلاة وصيام وصدقة وقراءة قرآن وبر للوالدين وإعانة المحتاجين وشكر الله وحمده

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣١) وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٤٤٤).
(٢) الدر المنثور (٨/ ٥٣١).
(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي (ص٢٠٧).
(٤) الدواء والداء الجواب الكافي، ابن القيم (١/ ٢٢٢).

على نعمه وكثرة الذكر والتسبيح والتهليل والاستغفار، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**».

وفي خضم شؤون الحياة المعاصرة، وكثرة مشاغلها وتعدد متطلباتها، قد ننسى أن نتعاهد أنفسنا بالتربية والتزكية، ومن ثم تقسو القلوب، ونتثاقل عن الباقيات الصالحات، فينبغي الحرص عليها وتربية النفوس وتطهيرها من الدنس والشوائب.

أبيات في تزكية النفس:

قال أبو الفتح البستي:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس واستعمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

المبحث السابع

قيمــة العفــة

العفة من خصال التقوى والخير ترتقي بصاحبها إلى المعالي وتوصله إلى الجنة وهي من القيم الرفيعة التي دعا إليها الاسلام وحث عليها ورغب فيها، فقد أثنى الله على المتعففين وبين الرسول المصطفى محمد ﷺ أن طريق العفاف يوصل الجنة، وإذا شاعت هذه القيمة في المجتمع فلا تسأل عن الطمأنينة التي يعيشها والألفة التي تسوده.

أولًا: مفهوم العفّة لغةً واصطلاحًا:

العفة لغة: ترك الشهوات من كلّ شيء، وغلب في حفظ الفرج مما لا يحل[(١)].

واصطلاحًا: ترك القبيح، وقيل: الكفُّ والنزاهة عمَّا لا يحلُّ ويجملُ، والمتعففُ هو المتعاطي لذلك بضربٍ من الممارسة والقهر[(٢)].

ثانيًا: أهمية قيمة العفّة:

تتجلى مكانة قيمة العفّة في النّقاط الآتية:

١. أمر الله بها وحث عليها وأثنى على المتعفّف الذي لا يسأل:

قال سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٦]، وقال أيضًا: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣].

كما أمر الله من لم يستطع النكاح بالعفّة لأن فيه حفظ الفرج وصيانة للمجتمع قال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ

(١) المعجم الوسيط (٦١١).
(٢) المفردات (٣٣٩).

وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٣٣].

وقال في حق النساء: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٠].

٢. العفّة من صفات الأنبياء وأهل الإيمان:

قال سبحانه: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

٣. أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعفة:

في حديث أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: «فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عمّا كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصّلاة، والصّدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة...» الحديث[(١)]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم وعفّوا تعفّ نساؤكم**»[(٢)]، وقال أيضًا: «**أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدّنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّة في طعمة**»[(٣)].

٤. تحري الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعفة:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرى العفة في كافة شؤون حياته ومن ذلك تركه للطعام المشتبه خشية الحرام حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّي لأنقلب إلى أهلي فأجد التّمرة ساقطة على فراشي، ثمّ أرفعها لآكلها ثمّ أخشى أن تكون صدقة فألقيها**»[(٤)].

٥. العفة سبب لدخول الجنّة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أهل الجنّة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدّق موفّق.**

---

(١) صحيح البخاري، باب من أمر بإنجاز الوعد، برقم الحديث (٢٦٨١)، (٢/ ١٨٠).
(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٨)، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٦٦٦١) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢/ ١٧٧).
(٤) صحيح البخاري، باب إذا وجد تمرة في الطريق، برقم الحديث (٢٤٣٢)، (٥/ ١٢٥).

ورجل رقيق القلب لكلّ ذي قربى ومسلم. وعفيف ذو عيال»[١]، وبيَّن ﷺ أن العفّة سبب لنيل اعانة الله ورعايته بقوله: «**ثلاثة حقّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الّذي يريد الأداء، والنّاكح الّذي يريد العفاف**»[٢]، وكان من دعاءه ﷺ قوله: «**اللهمّ إنّي أسألك الهدى والتّقى والعفاف والغنى**»[٣].

٦. أمر الشرع بعفة القول وحفظ اللسان:

أمر الله بالقول السديد فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

كما حذر من الغيبة والنميمة وعدها من أشد آفات اللسان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١٢].

وحرم السخرية والتنابز بالألقاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

وبين أن الإنسان محاسب عن كلامه فقال: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨]، ولذا قال النبي ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[٤].

---

(١) صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم الحديث (٦٣)، (٤/ ٢١٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب، برقم الحديث (١٦٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن (٤/ ١٨٤).

(٣) صحيح مسلم، باب التّعوذ من شر ما عمل، برقم الحديث (٧٢)، (٤/ ٢٠٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم الحديث (٢٤٠٧).

ومن حفظ لسانه فجزاؤه الجنة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»(١).

وعندما سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢)، ولما سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «**الفم والفرج**»(٣)، وقال: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٤).

كما بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطورة الكلمة بقوله: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**»(٥)، وقال أيضًا: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٦).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة العفة:

١. لمّا فتح المسلمون القادسيّة أخذوا الغنائم ودفعوها إلى عمر فقال: «إنّ قوما أدّوا هذا لأمناء، فقالوا له: عففت فعفّوا ولو رتعت يا أمير المؤمنين لرتعت أمّتك»(٧).

٢. قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نحن معشر قريش نعدّ الحلم والجود السّؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة»(٨).

---

(١) أخرجه أبوداود، باب في حسن الخلق، برقم الحديث (٤٨٠٠).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، برقم الحديث (١١)، (١/ ١١).
(٣) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (برقم ٢٠٠٤).
(٤) صحيح البخاري، باب حفظ اللسان، برقم الحديث (٦٤٧٤)، (٨/ ١٠٠).
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم الحديث، (٢٦١٦). وحسنه الألباني، في تعليقه على سنن الترمذي (٤/ ٣٦٣).
(٦) صحيح البخاري، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم الحديث (٦٠١٨)، (٨/ ١١).
(٧) الورع، لابن أبي الدنيا (ص١٢٢).
(٨) الآداب الشرعية، ابن مفلح (٢/ ١٥).

٣. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لساني»[١].

٤. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء»[٢].

٥. قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: «احفظ أربع خصال تنج بها من كلسوء : عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك».

٦. قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «احرصوا غاية الحرص على تجنب القيل والقال، وعلى أن يشتغل الإنسان بما يهمه عمّا لا يعنيه، لأن ذلك من حسن إسلام المرء»[٣].

٧. قال زيد بن سنان رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألةً في الدِّين، يتعلم الوَقيعة في الناس، متى يفلح؟!»[٤].

رابعًا: أنواع العفــة:

للعفة أنواع منها:

١. العفّة في اللّسان:

بالكف عن الكذب والغيبة والنميمة وأعراض الناس و الفحش والبذاءة.

٢. العفة في النظر والفرج:

بتجنب النظر إلى ما حرم الله وحفظ الفرج عن الإثم والخيانة، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومن يَخُنْ يَهُنْ. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (ص٢٤٢).
(٢) الأذكار، للإمام النووي (ص٢٨٤).
(٣) لقاء الباب المفتوح (٦٦)، الزهر الفائح (ص٧١).
(٤) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ١٠٤).

أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣٠-٣١].

٣. العفة في المال:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٨].

وقد لخص الماورديّ هذه الأنواع بقوله: العفّة والنّزاهة والصّيانة من شروط المروءة، والعفّة نوعان: أحدهما العفّة عن المحارم، والثّاني العفّة عن المآثم، فأمّا العفّة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثّاني كفّ اللّسان عن الأعراض، وأمّا العفّة عن المآثم فنوعان أيضًا: أحدهما: الكفّ عن المجاهرة بالظّلم، والثّاني: زجر النّفس عن الإسرار بخيانة[1].

أبيات في عفة اللسان:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال آخر:

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليمًا مِن الأذى ... وَدينُكَ مَوفورٌ وعِرْضُكَ صَيِّنُ

لِسانَكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ ... فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٨٤-٣٩٠).

المبحث الثّامن

قيمــة الأمانــة

الأمانة من أصول الأخلاق الكريمة التي دعى إليها الإسلام وحثت عليها آيات الكتاب المبين وسنة سيّد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بها تصلح حياة النّاس بتحقيق الخير وينتشر الرّخاء.

أولًا: مفهوم الأمانة لغةً واصطلاحًا:

الأمانة لغة: تدلّ على سكون القلب، ورجل أمنة: إذا كان يأمنه النّاس ولا يخافون غائلته، والأمانة: ضدّ الخيانة(١).

واصطلاحًا: كلّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصّلاة والزّكاة والصّيام، وكل ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار وودائع ودين فهو أمانة، وقيل: هي خلق ثابت في النّفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، ويؤدّي به ما عليه من حقّ لغيره، وهي أحد الفروع الخلقيّة لحبّ الحقّ وإيثاره وهي ضدّ الخيانة(٢).

ثانيًا: أهمية قيمة الأمانة:

تتجلى مكانة قيمة الأمانة في النّقاط الآتية:

١. أمر الشرع الحنيف بحفظ الأمانة وأدائها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(٣).

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣/ ٢١، ٢٢).
(٢) ينظر: الكليات، للكفوي (١٧٦، ١٨٦).
(٣) أخرجه أبو داود، باب في الرجل يأخُذُ حقه، برقم الحديث (٣٥٣٤)، (٥/ ٣٩٤).

٢. الأمانة من أخلاق الأنبياء والمرسلين:

قال الله تعالى عن عاد عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨]، وقال سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:١٠٦-١٠٧]، وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أنّ هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنّه يأمر بالصّلاة والصّدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبيّ»(١).

٣. حذر الله من خيانة الأمانة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧]، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن خيانة الأمانة وتضييعها من خلق المنافقين، فقال صلى الله عليه وسلم: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢).

٤. أثنى الله على أهل الأمانة وامتدحهم:

فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨].

٥. الأمانة من صفات الكمال:

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤].

٦. لعظم الأمانة تبرأت منها السماوات والأرض والجبال:

قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

---

(١) صحيح البخاري، باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، برقم الحديث (٢٦٨١)، (٣/ ١٨٠).
(٢) صحيح البخاري، باب علامة المنافق، برقم الحديث (٣٣)، (١/ ١٦).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الأمانة:

١. قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة»(١).

٢. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تغرني صلاة امرئ ولا صومه من شاء صام ومن شاء صلى لا دين لمن لا أمانة له».

٣. قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوها الله»(٢).

٤. قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يكن له رأس مال فليتخذ الأمانة رأس ماله»(٣).

رابعًا: مجالات الأمانة:

ذكر ابن الجوزيّ أنّ الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرائض ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧].

الثّاني: الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

الثّالث: العفّة والصّيانة، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦].

والمجالات الّتي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها: الدّين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشّهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار والرّسالات والسّمع والبصر وسائر الحواسّ.

---

(١) روى نحوه البيهقي، في السنن الكبرى (١٣٠٠٩).
(٢) مكارم الأخلاق، الخرائطي (ص١٧٨).
(٣) الدر المنثور، للسيوطي (٤/ ٥٠٠).

أبيات عن الأمانة:

قال العرجي:

وما حُمِّل الإنسانُ مثلَ أمانةٍ ... أشقَّ عليه حين يحملُها حملا

فإن أنت حمِّلتَ الأمَانَةَ فاصطبرْ ... عليها فقد حمِّلتَ مِن أمرها ثقلا

ولا تقبلنَّ فيما رضيتَ نميمة ... وقل للذي يأتيك يحملُها مهلا

قال كعب بن زهير:

أَرعى الأَمانَةَ لا أَخونُ أَمانَتي ... إِنَّ الخَؤونَ عَلى الطَريقِ الأَنكَبِ

المبحث التاسع

قيمة الرّحمة

الرحمة من الأخلاق والقيم الإسلامية التي حث عليها الإسلام وأكد عليها، فهي صفة من صفات الأنبياء، وقد امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك؛ ليكون أسوة وقدوة للعالمين، واستفاضت نصوص الكتاب والسنة في الحث عليها والتذكير بفضائلها.

أولًا: مفهوم الرّحمة لغةً واصطلاحًا:

الرّحمة لغة: أصل هذه المادة يدل على العطف والرقة والرأفة، وتراحم القوم، أي رحم بعضهم بعضًا[(١)].

واصطلاحًا: رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه[(٢)]، وهي: حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان[(٣)].

و«التَّراحم، والتوادد، والتعاطف، وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التَّراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة، كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا، كما يعطف الثوب عليه ليقويه»[(٤)].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٨)، لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٣٠).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٤).
(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص٢٤).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

ثانيًا: أهمية قيمة الرحمة:

تتجلى مكانة قيمة الرحمة في النقاط الآتية:

١. وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه بالرحمة واتخذ منها اسما له.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢]، واشتق الله من الرحمة اسمًا فهو الرحمن الرحيم.

٢. وصف الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرحمة وأثنى عليه بذلك:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال أيضًا: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولما قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»(١).

٣. امتدح الله الصحابة رضوان الله عليهم بالرحمة:

قال الله عز شأنه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

٤. خلق الله مائة رحمة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض. فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»(٢).

٤. أمر الله الرّحمة بالوالدين:

قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٤].

---

(١) صحيح مسلم، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم الحديث: (٨٧)، (٤/ ٢٠٠٦).

(٢) صحيح مسلم، باب في سعة رحمة الله تعالى، برقم الحديث (٢١)، (٤/ ٢١٠٩).

٥. تماسك الأمة وتآلفها وقوتها تحصل بالرحمة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**»(١).

٦. من رحم الناس رحمه الله في الدنيا والآخرة:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢)، وقال أيضًا: «**لا يرحم الله من لا يرحم النّاس**»(٣)، قال ابن حجر تعليقًا على حديث «**من لا يرحم لا يرحم**»: قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسعي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب»(٤).

٧. كمال الإيمان يحصل بالرحمة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن تؤمنوا حتى ترحموا**». قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله، قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس، رحمة العامة**»(٥).

٨. الرحمة من صفات المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الرّحمة:

١. جاء عن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] قالا: «وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة»(٦).

---

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، برقم الحديث (٦٠١١)، (٨/ ١٠).
(٢) أخرجه أبوداود، في سننه، باب الرّحمة، برقم الحديث (٤٩٤١)، (٧/ ٢٢٩٨).
(٣) صحيح البخاري، برقم الحديث (٧٣٧٦)، (٩/ ١١٥).
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٤٤٠).
(٥) قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٥٣): أخرجه الطبراني ورجاله ثقات.
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٨١).

٢. قال المهلب: «الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم»[١].

٣. قال ابن العربي: «حقيقة الرحمة إرادة المنفعة، وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره، ذهب عنه الإيمان والإسلام»[٢].

٤. قال ابن القيم: «الرحمة سبب واصل بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة»[٣].

٥. وقال أيضًا: «إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك. فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه. فهذه رحمة مقرونة بجهل ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته: من رحمته به»[٤].

أبيات عن الرحمة:

قال الشاعر:

إن كنتَ ترجو مِن الرحمنِ رحمتَه ... فارحمْ ضعافَ الورَى يا صاحِ محترمًا

واطلبْ جزا ذاك مِن مولاك رحمتَه ... فإنَّما يرحمُ الرحمنُ مَن رحِما

وقال آخر:

وارحمْ بقلبِك خلقَ اللهِ كلَّهم ... يُنلْك رحمته في الموقفِ الخشنِ

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٤٧).
(٢) فيض القدير، للمناوي (٦/ ٤٢٢).
(٣) التفسير القيم (ص٣٥).
(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم (٢/ ١٧٤).

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. ما مفهوم القيم العليا ؟
٢. عرّف الإخلاص لغةً واصطلاحًا.
٣. بين قيمة الإخلاص في أربع نقاط مع ذكر الدليل.
٤. ما مفهوم الإحسان اصطلاحًا؟ وما أهميته وأنواعه؟ مع ذكر قولين من السّلف؟
٥. عرّف العدل لغةً واصطلاحًا؟ موضحًا قيمته من خلال أقوال السلف؟
٦. ما مفهوم الصّدق لغةً واصطلاحًا مع ذكر أربع نقاط تبين أقوال السّلف عنه؟
٧. عرّف قيمة الصّبر لغةً واصطلاحًا؟ مع بيان قيمته بالأدلة من الكتاب والسنّة؟
٨. ما مفهوم تزكية النفس لغة واصطلاحًا موضحًا قيمتها من خلال أقوال السلف؟
٩. عرّف العفّة لغةً واصطلاحًا واذكر قيمتها وأنواعها، وذكر أقوال السّلف فيها؟
١٠. ما مفهوم الأمانة لغةً واصطلاحًا مع ذكر أهميتها، ومجالاتها؟
١١. عرّف الرّحمة اصطلاحًا مع بيان قيمتها في الكتاب والسنة وأقوال السلف.

الفصل الثالث

القيم الاجتماعية

المبحث الأول: قيمة برّ الوالدين.

المبحث الثاني: قيمة صلة الرحم وذي القربى.

المبحث الثالث: قيمة حسن الجوار.

المبحث الرابع: قيمة الأخوة الإسلامية.

المبحث الخامس: قيمة إصلاح ذات البين.

المبحث السّادس: قيمة الإمامة ولزوم الجماعة.

المبحث السّابع: قيمة الشورى.

الفصل الثالث

القيم الاجتماعية[١]

المبحث الأول

قيمة بر الوالدين

بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله؛ فقد قرن عبادته بالإحسان إليهما كما جاءت أحاديث النبي المصطفى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضحة فضل بر الوالدين وما يترتب عليه من أجر عظيم في الدنيا والآخرة ومحذرة كذلك من عصيانهما وأن ذلك من أسباب دخول النار ووجوب سخط الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أولًا: مفهوم بر الوالدين لغةً واصطلاحًا:

البر لغة: مصدر من بر[٢]، وهو ضد العقوق[٣] والعقوق: الإساءة إلى الوالدين وتضييع حقهم[٤].

واصطلاحًا: الإحسان إلى الوالدين والعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما[٥].

---

(١) هي القيم التي لها علاقة بالأسرة والمجتمع، وتكون سببًا في نشر المحبة والألفة بين أفراده، وتقوي التماسك والترابط بينهم.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٧٧).

(٣) مختار الصحاح، الرازي (ص٣٢).

(٤) لسان العرب (٤/ ٥٤).

(٥) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٢/ ٢١١).

ثانيًا: أهمية ومكانة بر الوالدين:

تتجلى مكانة بر الوالدين في النقاط الآتية:

١. أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإحسان إلى الوالدين:

حث الله عَزَّوَجَلَّ على الإحسان إلى الوالدين والرفق بهما وخفض الجناح لهما، والدعاء لهما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

٢. قرن الله حقهما بعبادته:

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦]. قال ابن كثير: «ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيرًا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين»(١).

٣. بر الوالدين من دأب الأنبياء والمرسلين:

قال الله تعالى في قصة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢].

٤. بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، ومقدّم على الجهاد:

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٢)، وجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحي والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٢٦٠).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل الصلاة لوقتها، برقم الحديث (٥٩٧٠)، (٨/ ٢).

(٣) صحيح البخاري، باب الجهاد بإذن الأبوين، برقم الحديث (٣٠٠٤)، (٤/ ٥٩).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عبد الله بن أبي سلول وهو في ظل أجمة، فقال: قد غبر علينا ابن أبي كبشة، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب، لئن شئت لآتينك برأسه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته**»(٢).

٥. الوالدة أحق النّاس بحسن الصحبة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(٣).

٦. عقوق الوالدين من أسباب دخول النار:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يغفر له**»(٤).

وقال أيضًا: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق والديه ومدمن الخمر ومنان بما أعطى**»(٥).

---

(١) صحيح مسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم الحديث (١٤٦)، (٢/ ٩٢).
(٢) أخرجه ابن حبان، باب ذكر استحباب بر المرء والـده، برقم الحديث (٤٢٨)، وحسنه الألباني (٢/ ١٧٠).
(٣) صحيح مسلم، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم الحديث (١)، (٤/ ١٩٧٤).
(٤) صحيح مسلم، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، برقم الحديث (٩)، (٤/ ١٩٧٨).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم الحديث (٧٣١٥)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤/ ٢٥٢).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة بر الوالدين:

١. جاء رجل إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «إن لي أمًّا بلغ بها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، أوضئها، وأصرف وجهي عنها، فهل أديت حقها؟ قال: لا قال: أليس قد حملتها على ظهري، وحبست عليها نفسي؟ قال: إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنع ذلك وأنت تتمنى فراقها».

٢. «شهد ابن عمر رجلًا يمانيًّا يطوف بالبيت قد حمل أمه على ظهره، وهو يقول: إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر، ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة»[(١)].

٣. قال ابن الجوزي: «لا منعم بعد الحق سبحانه على العبد كالوالدين، فقد حملت الأم بحمله أثقالًا كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها لمرادته، وقدمته على نفسها في كل حال. وقد ضم الوالد إلى تسببه في إيجاده ومحبته بعد وجوده وشفقته في تربيته الكسب له والإنفاق عليه، والعاقل يعرف حق المحسن ويجتهد في مكافأته. وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، فإذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء الأدب، دل على خبث الطبع ولؤم الوضع وسوء المنقلب، وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما»[(٢)].

رابعًا: آداب بر الوالدين:

هناك جملة من الآداب يحسن التأدب بها مع الوالدين ومن أهمها ما يأتي:

١. برهما كما يُحبان هما لا كما يُحب أبناؤهما.

٢. مخاطبة الوالدين بألفاظ الاحترام والتوقير، مع خفض الصوت، والاستماع لهما،

(١) البر والصلة لابن الجوزي (ص٣٩).
(٢) البر والصلة، لابن الجوزي (ص٣٩).

وعدم مقاطعتهما، والحديث إليهما فيما يحبان الاستماع عليه وتجنب الحديث عن ما يضايقهما أو يدخل الحزن إلى قلبيهما.

٣. عدم حد النظر إليهما، أو الاتكاء عليهما، وعدم المشي أمامهما إلا لنفعهما، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت.

٤. استشارتهما في أمرك وسفرك وإلقاء السلام عليهما والاستئذان عند الدخول والخروج.

٥. عدم بدء الطّعام أو الشّراب قبلهما.

٦. الدّعاء لهما مع إظهار الود، وإكثار الشّكر لهما على ما قاما في حقك.

٧. ملازمتهما عند المرض والقيام بحقهما.

٨. قضاء حوائجهما والنفقة عليهما، والحج والاعتمار عنهما إن عجزا عن ذلك.

٩. الصّلاة عليهما بعد موتهما ودفنهما وتنفيذ وصيتهما.

١٠. الإحسان إلى صديقهما ويكون ذلك آكد مع أبنائهما وأقاربهما.

المبحث الثاني

قيمة صلة الرّحم وذي القربى

صلة الرحم وذي القربى من الخصال الحميدة التي رغب فيها الإسلام لآثارها العظمى على الأسرة والمجتمع، فكلما قويت صلة الأرحام والأقارب، قوي المجتمع وكلما ضعفت تلك العلاقة، ضعف المجتمع وتفككت أواصره.

أولًا: مفهوم الرّحم لغةً واصطلاحًا:

الرّحم لغة: يدل على الرقة والعطف والرأفة. والرحم: علاقة القرابة[١]، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا[٢].

واصطلاحًا: الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول[٣]، وقيل: الإحسان إلى الرحم التي يحرم النكاح بينهما[٤].

وهي: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وإن بعدوا أو أساؤوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله[٥].

ثانيًا: أهمية قيمة صلة الرحمة وذوي القربى:

تتجلى مكانة قيمة صلة الرحم وذي القربى في النّقاط الآتية:

١. أن صلة الأرحام مقرونة بعبادة الله:

الإحسان إلى الأقارب عبادة مرتبطة بالميثاق الذي بين الله وبين البشر يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٩٨).
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي (٥/ ١٩٢٩).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي (٢/ ٢٠١).
(٤) سبل السلام، الصنعاني (٢/ ٦٢٨).
(٥) ينظر لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٧٢٨).

ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [البقرة:٨٣]، وصلة الأرحام من أنواع البر قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [البقرة:١٧٧].

٢. وصية الله بالأرحام وذوي القربى:

أوصى الله بالأرحام وذوي القربى في مواطن عديدة من كتابه المبين فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٧٥]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل:٩٠]، «خص الله إيتاء ذي القربى -وإن كان داخلًا في العموم- لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك، ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبهم وبعيدهم لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر»(١).

٣. صلة الرحم من أسباب حفظ الأنساب:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «احفظوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا بعد بالرحم إذا قربت، وإن كانت بعيدة، ولا قرب بها إذا بعدت، وإن كانت قريبة، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها، تشهد له بصلة؛ إن كان وصلها، وعليه بقطيعة؛ إن كان قطعها»(٢).

٤. النّهي عن قطيعة الرحم:

نهى الله عن قطيعة الرحم فقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:٢٢] قال ابن كثير: «أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٣] وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٤٤٧).
(٢) الأدب المفرد مع شرحه (١/ ١٥٦) حديث رقم (٧٣) ورجاله ثقات.

قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال، وبذل الأموال»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المَلّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[٢]، وقال أيضًا: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»[٣].

٥. صلة الأرحام تزيد في العمر وتوسع الرزق وتدفع البلاء:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سره أن يُمدَّ له في عمره ويُوسَّع له في رزقه ويُدفعَ عنه مِيتةُ السُّوء فليتّق الله وليَصِلْ رحِمَه**»[٤]، وقال أيضًا: «**صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمرن الديار، ويزيدان في الأعمار**»[٥]، وفي حديث آخر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضًا لهم**» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**بصلتهم لأرحامهم**»[٦].

٦. الرحم معلقة بالعرش:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨).
(٢) صحيح مسلم، باب صلة الرحم، برقم الحديث (٢٢)، (٢/ ١٩٨٢).
(٣) صحيح البخاري، باب ليس الواصل بالمكافئ، برقم الحديث (٥٩٩١)، (٨/ ٦).
(٤) أخرجه عبد الواحد المقدسي في الأحاديث المختارة برقم الحديث (٥٣٧).
(٥) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩)، وقال الحافظ في الفتح: رجاله ثقات، وصححه الألباني في الصحيحة (٥١٩).
(٦) الحاكم (٤/ ١٦١) وقال: صحيح غريب وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن، مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢).
(٧) صحيح مسلم، باب صلة الرحم، برقم الحديث (١٧)، (٤/ ١٩٨١).

٧. صلة الرحم من أسباب دخول الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال**»(١).

٨. صلة الرحم من علامات الإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»(٢).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة صلة الأرحام:

١. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه شيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه»(٣).

٢. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إليّ من أن أعتق رقبة»(٤).

٣. قال عطاء: «لدرهم أضعه في قرابتي أحب إليّ من ألف أضعها في فاقة. قال له قائل: يا أبا محمد، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى. قال: وإن كان أغنى منك»(٥).

٤. قال سعيد بن المسيب: وقد ترك دنانير «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه، ويصل رحمه، ويكف به وجهه»(٦).

---

(١) صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا، برقم الحديث (٧٢٠٧).
(٢) صحيح البخاري، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم الحديث (٦٠١٨)، (٨/ ١١).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وحسنه الألباني في الأدب المفرد (٥٣/ ٧٢)، (ص٥٥).
(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي (١/ ٢٢٠).
(٥) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (٦٢).
(٦) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٣/ ٢٦٩).

٥. قال الإمام القرطبي: «الرحم على وجهين: فالعامة رحم الدين وتجب بملازمة الإيمان والمحبة لأهله، ونصرتهم، والنصيحة، وترك مضارهم، والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم، والصّلاة عليهم ودفنهم، وأما الرحم الخاصة، وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضرورتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب»[(١)].

رابعًا: صلة الرحم ودرجاتها:

قال القاضي عياض: «الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب، ومنها مستحب. ولو وصل بعض الصلة، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلًا»[(٢)].

أقسام الرحم:

تنقسم الرحم إلى ثلاثة أقسام: أصلية وفرعية وعامة.

١. **الرحم الأصلية:** وهما الأبوان وما يتصل بهما من قرابة مثل الأجداد فما علا، والإخوان والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات.

٢. **الرحم الفرعية:** وهم الأبناء والأحفاد، فما نزل، وما ثبت بالرضاع.

٣. **الرحم العامة:** وهم عموم المسلمين ممن يجمع بينهم كلمة التوحيد.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦/ ٢٤٧).
(٢) مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٣).

خامسًا: آداب صلة الرحم:

لصلة الرحم آداب عديده من ذلك:

١. أرحامك أولى الناس ببرك ومعروفك وخيرك وعطفك وتوجيهك.

٢. الصبر على أذى الأرحام، وسعة الصدر معهم، وقبول أعذارهم، ونسيان عيوبهم.

٣. رحمة صغيرهم، وتوقير كبيرهم، والابتداء بالسلام، والبشاشة عند اللقاء.

٤. الإحسان إليهم وإكرامهم وقضاء حوائجهم وقبول هداياهم.

٥. الإصلاح بين المتخاصمين، وتقديم النصيحة لمن يحتاجها منهم وقبولها منهم.

٦. كتم أسرارهم ونصرتهم وعدم خذلانهم، والستر عليهم، وزيارة مريضهم وتشييع ميتهم.

٧. عدم دخول البيوت إلا باستئذان، وتجنب الخلطة المحرمة ومصافحة غير المحارم.

المبحث الثالث

قيمة حسن الجوار

حسن الجوار من مكارم الأخلاق ومعالي القيم مع الناس جميعًا القريب والبعيد، والمسلم والكافر، وقد جاءت نصوص الكتاب المبين وسنة النبي الأمين محمد ﷺ مؤكدة وحاثة على الإحسان إلى الجار وتعاهده، وعدم الإساءة إليه.

أولًا: مفهوم الجار في اللغة والاصطلاح:

الجار لغة: الجار الذي يجاورك بيت بيت[(١)] وقيل هو: من يقرب مسكنه منك[(٢)].

واصطلاحًا: امتثال الوصية بالجار بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، وحدّ الجوار: «من سمع النّداء فهو جار» وقيل: «من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار»، ويراد بالجار الداخل في الجوار، ويراد به كذلك المجاور في الدار وهو الأغلب، عن عائشة رضي الله عنها: «حدّ الجوار أربعون دارا من كل جانب»[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة حسن الجوار:

تتجلى مكانة قيمة حسن الجوار وفضله في النقاط الآتية:

١. أوصى الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الجار:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

---

(١) لسان العرب (٤/ ١٥٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص١٠٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٤٧).

٢. الجار وصيّة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»(١)، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»(٢)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**»(٣). وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصاني: «**إذا طبخت مرقا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**»(٤)، وقال أيضًا: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**»(٥).

٣. الجار يتعلق بجاره يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر:١٨] قيل: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة.

٤. اختيار الجار قبل الدار:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] فاختارت الجار قبل الدار.

٥. خير الناس من يكرم جاره ويحسن إليه:

في الحديث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(٦).

---

(١) صحيح البخاري، باب الوصاة بالجار، برقم الحديث (٦٠١٥)، (٨/ ١٠).
(٢) صحيح البخاري، باب أي الجوار أقرب؟، برقم الحديث (٢٢٥٩)، (٣/ ٨٨).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، برقم الحديث (٢٥٦٦)، (٣/ ١٥٣).
(٤) صحيح مسلم، باب الوصية بالجار، برقم الحديث (١٤٣)، (٤/ ٢٠٢٥).
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم الحديث (١١٢) وصححه الألباني في الأدب المفرد (ص٦٠).
(٦) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في حق الجوار، برقم الحديث (١٩٤٤)، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب (٣/ ٣٩٧).

٦. تحذير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذية الجار:

قال رجل: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**»، قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في الجنة**»(١)، وقال أيضًا: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»(٢).

وقد استعاذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جار السوء حيث كان يدعو قائلًا: «**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقام فإن جار الدنيا يتحول**»(٣)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٤)، وقال أيضًا: «**لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره**».

وسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه عن الزنا قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فقال: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، وسألهم عن السرقة قالوا: حرام حرمها الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله فقال: «**لأن يسرق من عشرة أهل أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**»(٥).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة حسن الجوار:

١. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب: صدق الحديث، وصدق

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم الحديث (٩٦٧٥)، وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن (١٥/ ٤٢٢).
(٢) صحيح البخاري، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم الحديث (٦٠١٨)، (٨/ ١١).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم الحديث (١١٧)، وحسنه الألباني في الأدب المفرد (ص٦٢).
(٤) صحيح مسلم، باب بيان تحريم إيذاء الجار، برقم الحديث (٧٣)، (١/ ٦٨).
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم الحديث (١٠٣)، وصححه الألباني في الأدب المفرد (ص٥٧).

الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب[١]، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»[٢].

٢. قال الحسن البصري: «ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار».

٣. تمام حسن الجوار في أربعة أشياء: أولها أن يواسيه بما عنده، والثاني أن لا يطمع فيما عنده، والثالث أن يمنع أذاه عنه، والرابع أن يصبر على أذاه[٣].

٤. قال ابن حجر: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرًّا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطى كل حقه بحسب حاله»[٤].

رابعًا: حقوق الجوار وآدابه:

الجار إن كان مسلمًا قريبًا، كان له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق القرابة، وحق الجوار. وإن كان قريبًا جارًا، فله حقان: حق القرابة وحق الجار، وإن كان مسلمًا غير قريب وهو جار فله حقان: حق الإسلام وحق الجوار، وإن كان جارًا كافرًا، فله حق واحد فقط، وهو: حق الجوار، فمن مكارم الأخلاق حسن الجوار مطلقًا: أيًّا كان الجار، ومن كان أقرب فهو أولى.

---

(١) أي: حفظ عهده وحرمته.
(٢) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ص٦٤).
(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث نصر السمرقندي (ص١٤٤).
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٤٧).

وللجوار آداب منها: السلام عليه، والتبسم في وجهه، ودعوته والتعاون معه على الخير، وحفظ أسراره، والإحسان إليه وإكرامه وتفقد أحواله وغض البصر عن عوراته ومحارمه وكف الأذى عنه.

أبيات في حق الجار:

قال الشاعر:

وللجار حق فاحترز من إذائه وما خير جار لا يزال مؤذيا[١]

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٣٦).

المبحث الرابع

قيمة الأخوة الإسلاميّة

الأخوة الإسلامية هي المنهج النّبوي في العلاقة والتعامل والتّعاون بين المسلمين وبها يتحقق تلاحم المجتمع المسلم ويسود مبدأ الجسد الواحد بينهم.

أولًا: مفهوم الأخوة الإسلاميّة:

هي علاقة اجتماعية مبنية على محبة الله، قوامها الحق والخير والإحسان، والتّعاون على البرّ والتّقوى.

ثانيًا: أهمية قيمة الأخوة الإسلاميّة:

تتجلى قيمة الأخوة الإسلامية في النقاط الآتية:

١. الأخوة الإيمانية مرتبة عالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] قال السعدي: «هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم»[(١)].

٢. الأخوة الإسلاميّة نعمة ربانيّة:

امتن الله على المؤمنين بنعمة الأخوة في الدين حيث قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣] قال الطبري: «تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص٨٠٠).

في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»[١].

٣. الأخوة الإسلاميّة طريقة إلى قوة المجتمع وتماسكه:

مثل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخوة الإسلامية كالبنيان الواحد، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**» ثم شبك بين أصابعه[٢].

٤. أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمحبة والتآخي بين المسلمين:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٣]، وقال أيضًا: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»[٤].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف في قيمة الأخوة الإسلامية:

١. قال مالك بن دينار: «حدثني فلان أن عامرًا مر في الرحبة وإذا رجل يظلم، فالقى رداءه وقال: لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حي فاستنقذه»[٥].

٢. عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال: «إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال: قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ قال مجاهد: أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال:٦٣]. فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني»[٦].

٣. قال خالد بن صفوان: «إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم».

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٧/ ٧٠).
(٢) صحيح البخاري، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، برقم الحديث (٦٠٢٦)، (٨/ ١٢).
(٣) صحيح البخاري، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم الحديث (١٣)، (١/ ١٢).
(٤) صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم، برقم الحديث (٣٢)، (٤/ ١٩٨٦).
(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ١٨).
(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٩).

٤. قال أحد السلف: «من أحدث أخوة في الله رفعه الله درجة»[١].

٥. قال المأمون: «الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء؛ لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء؛ يحتاج إليه أحيانًا، وطبقة كالداء»[٢].

٦. قيل لعلي بن الهيثم: ما يجب للصديق؟ قال: «كتمان حديث الخلوة، والمواساة في الشدة، وإقالة العثرة. وقيل لأعرابي: من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظُلم صفح، وإن ضُويق سمح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح»[٣].

٧. قال ابن خلدون: «وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة الله في إقامة دينه، وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاطف، واتسع نطاق الكلمة»[٤].

رابعًا: عوامل تحقيق الأخوة الإسلاميّة:

مما يساعد في تحقيق الأخوة الإسلاميّة ما يأتي:

١. التّراحم بين المؤمنين:

قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**». ولذا فعلى المسلمين أن يتراحموا ويتعاطفوا ويتكاتفوا ويتساندوا حتى تقوى أخوتهم ويكونوا كالبنيان المرصوص.

٢. التّعاون بين المسلمين:

أمر الله تعالى به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

---

(١) الجامع في الحديث لابن وهب، لأبي محمد عبد الله المصري (ص٢٨٦).
(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص١٧٠، ١٧١).
(٣) المختار من الصداقة والصديق، لأبي حيان التوحيدي (ص٩٣).
(٤) مقدمة ابن خلدون (ص١٤٢).

٣. العفو عن الزّلات والتغاضي عن الهفوات:

مما يقوى روابط الأخوة العفو عن زلات وأخطاء أخيه وستر عورته وكف الأذى، وأن يعطيه من لسانه ما يحبه منه، فيدعوه بأحب أسمائه إليه، ويذكره بالخير في الغيبة والحضور، ويبلغه ثناء الناس عليه، مظهرا اغتباطه بذلك، وفرحه به.

٤. النصرة والتناصح:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجزه، أو تمنعه، من الظلم**»(١) ، وقال أيضًا: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

ولا ينصحه أمام الناس فيفضحه، فمن وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

٥. المعاملة الحسنة:

ومما يساعد في تحقيق الإخوة الإسلامية المعاملة الحسنة بينهم ومن ذلك: الهدية، والزيارة والصلة، وتفقد أحوالهم، والوقوف معهم في أفراحهم وأتراحهم.

أبيات في قيمة الأخوة الإسلامية:

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أُحِبُّ من الإخوان كُلَّ مُوَاتِي ... وكلَّ غَضِيضِ الطّرْفِ عن عَثَراتي

يصاحبني في كلّ أمرٍ أحبُّه ... ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي

فَمَنْ لي بهذا ليت أني أصبْتُه ... فقاسمته مالي مع الحسناتِ(٣)

---

(١) صحيح البخاري، برقم الحديث (٦٩٥٢)، (٩/ ٢٢).

(٢) صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم الحديث (٩٥)، (١/ ٧٤).

(٣) مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٢/ ٧٩).

المبحث الخامس

قيمة إصلاح ذات البين

إصلاح ذات البين من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله فهي تُكفّر السيئات وترفع الدرجات لما فيها من الفضل العظيم والأجر الكبير عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أولًا: مفهوم إصلاح ذات البين لغة واصطلاحًا:

الإصلاح لغة: خلاف الفساد[(١)]، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، والصلح: السلم.

واصطلاحًا: هو عقد يرفع النزاع[(٢)]، وهو المسالمة خلاف المخاصمة.

وإصلاح ذات البين: هو إصلاح الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة إصلاح ذات البين:

تتجلى مكانة قيمة إصلاح ذات البين من خلال النّقاط الآتية:

١. أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بإصلاح ذات البين:

الإصلاح بين الناس من أعمال البر والخير التي ينال بحبها الله، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]، وقال أيضًا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]، كما أمر في موطن آخر بالإصلاح بين المتخاصمين حيث قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٠٣).

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي (٥/ ٢٩).

(٣) ينظر: الأضداد، الأنباري (ص٧٥).

٢. قرن الله الإصلاح بالتقوى:

الإصلاح مقرون بالتقوى قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤].

٣. الإصلاح من دأب الأنبياء ومنهج دعوتهم:

قال الله تعالى على لسان نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ﴾ [هود:٨٨].

٤. حثّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إصلاح ذات البين:

رتبّ الرّسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأجر والثّواب على إصلاح ذات البين حيث قال: «**كل سلامى من النّاس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشّمس يعدل بين النّاس صدقة**»(١).

كما أخبر في حديث آخر أن إصلاح ذات البين أفضل درجة من الصيام والصلاة والصدقة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**»(٢).

٥. ثناء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المصلحين:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي**»(٣)، «وقد كتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا بين المهاجرين والأنصار على أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، باب فضل الإصلاح بين الناس، برقم الحديث (٣/ ١٨٧).
(٢) أخرجه أبوداود، باب في إصلاح ذات البين، برقم الحديث (٤٩١٩)، وصححه الألباني (٤/ ٢٨٠).
(٣) أخرجه الترمذي، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، برقم الحديث (٢٦٣٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» (٥/ ١٨).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده، أحمد (٣/ ١١٣).

٦. تحريم الكذب إلا لمن يصلح بين النّاس:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الكذّاب الذي يصلح بين النّاس، ويقول خيرًا وينمي خيرًا**»(١).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة إصلاح ذات البين:

١. قال ابن شهاب: «لم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»(٢).

٢. قال ابن القيم: «فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالمًا بالوقائع، عارفًا بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم»(٣).

٣. قال الفضيل: «إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّوَجَلَّ قل: فإن كنت تحسن تنتصر مثلًا بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع؛ فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور»(٤).

رابعًا: من ثمار إصلاح ذات البين:

١. تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، ولذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه.
٢. يغرس في النفوس فضيلة العفو.
٣. يتحقق اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من جراء الإصلاح بين الناس.
٤. يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة(٥).

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، برقم الحديث (١٠١)، (٤/ ٢٠١١).
(٢) صحيح مسلم، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، برقم الحديث (١٠١)، (٤/ ٢٠١١).
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (١/ ٨٦).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (٨/ ١١٢).
(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢/ ٣٧٧).

المبحث السادس

قيمة الإمامة ولزوم الجماعة

الإمامة ولزوم الجماعة أصل من أصول أهل السّنة والجماعة فلزوم الجماعة وترك التّفرق وطاعة من اجتمع على إمارته ورئاسته الأمة، وعدم الخروج عليه يحقق مصالح الدّين والدّنيا.

أولًا: مفهوم الإمامة ولزوم الجماعة لغةً واصطلاحًا:

الإمامة لغةً: مأخوذ من التّقدم، وهو: ما ائتم به، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والإمام: كل من اقتدي به وقدم في الأمور[١].

والإمامة اصطلاحًا: رئاسة تامة وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدنيا والدين[٢]، وقيل: هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة[٣].

ثانيًا: أهمية الامامة ولزوم الجماعة:

تتجلى مكانة قيمة الإمامة ولزوم الجماعة في النقاط الآتية:

١. طاعة الإمام واجب شرعي في الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، ومن السنة: قوله ﷺ: «**من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[٤].

---

(١) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن العسكري (ص٢٢٢)، ولسان العرب (١٢/ ٢٥).
(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، لعبد الملك بن عبد الله الجويني (ص١٥).
(٣) المواقف، للإيجي (٣/ ٥٧٩).
(٤) صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة، برقم الحديث (٥٨).

٢. فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إقامة الدّولة الإسلامية بالمدينة المنورة:

قام رسول الله في بناء الدّولة الإسلاميّة في المدينة المنورة حينما هاجر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة وبنى على ثلاث أسس مهمة أولها بناء المسجد وثانيها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وثالثها المعاهدات بين المسلمين والكفار واليهود.

٣. أهمية لزوم الجماعة والتّمسك بها:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**»(١).

٤. لزوم الجماعة نصر وتأييد من الله:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يد الله مع الجماعة**»(٢).

٥. الحث على اتباع الجماعة والتحذير من مفارقة الجماعة:

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٣).

٦. التحذير من الخروج على الإمام:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون**

---

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي (٤/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم الحديث (٢١٦٦)، قال الترمذي، هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني (٤/ ٤٦٦).

(٣) صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة، برقم الحديث (٥١)، (٣/ ١٤٧٥).

عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصّلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة**»(١).

٧. مفارقة الجماعة من خصال الجاهلية:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم**»، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صلى وصام**»(٢).

٨. السّمع والطّاعة لولاة الأمور ما لم يأمروا بمعصية:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**»(٣)، وقال أيضًا: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**»(٤).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة الامامة ولزوم الجماعة:

١. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء»(٥).

٢. عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج،

---

(١) صحيح مسلم، باب خيار الأئمة وشرارهم، برقم الحديث (٦٥)، (٣/ ١٤٨١).
(٢) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في مثل الصّلاة والصّيام والصّدقة، برقم الحديث (٢٨٦٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب» وصححه الألباني (٥/ ١٤٨).
(٣) صحيح البخاري، باب إمامة العبد والمولى، برقم الحديث (٦٩٣).
(٤) صحيح البخاري، برقم الحديث (٧١٣٧)، (٩/ ٦١).
(٥) منهاج السنة (١/ ٥٤٨).

فقال: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم**» سمعته من نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

٣. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة، واصبر حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر»[٢].

٤. وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك»[٣].

٥. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ لأنه لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس لأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك ما أوجبه الله من الجهاد، والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة»[٤].

٦. قال ابن بطال: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء..ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها»[٥].

٧. قال أبو شامة: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[٦].

---

(١) صحيح البخاري، باب: «لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه» (٩/ ٤٩).
(٢) الاعتصام (٣/ ٢٠٩).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٢).
(٤) السياسة الشرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٢٩).
(٥) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٧).
(٦) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة المقدسي (ص٢٢).

رابعًا: حكم الإمامة:

أجمع عامة المسلمين على وجوب نصب إمام للأمة يقيم لهم أحكام شرع الله، قال النووي: «أجمع العلماء على وجوبها -يعني طاعة الأمراء- في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية»[(١)].

أبيات في الإمامة ولزوم الجماعة:

قال الشاعر:

وإن نحن بايعنا الإمام ببيعة ... وفينا ولم نغدر ولا خير في الغدر

ونلقى ولاة الأمر منا بطاعة ... ولا يلتقى بالسيف منا أولي الأمر

وننصرهم إن جاهدوا ونطيعهم ... وإن ظلموا عدنا من الظلم بالصبر[(٢)]

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩).

(٢) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، ليوسف بن محمد السرمري (ص٣٧).

المبحث الرابع

قيمــة الشــورى

الشورى مبدأ إسلامي أصيل به تبنى المجتمعات ويتحقق الخير وتعمر الأرض وقد حثت عليه آي الكتاب الحكيم وطبقه الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أموره.

أولًا: مفهوم الشورى لغةً واصطلاحًا:

الشورى لغةً: تقليب الرأي وإظهاره، وقيل: استخراج الرأي بمراجعة بعض إلى بعض، ومنه يقال: شرت العسل، إذا استخرجته[(١)].

واصطلاحًا: طلب الرأي ممن هو أهل له، و هي: استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها[(٢)].

ثانيًا: أهمية قيمة الشورى:

تتجلى مكانة قيمة الشورى في النّقاط الآتية:

١. أمر الله بالشورى:

من علو منزلةِ الشورى في الإسلام أمر الله بها نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢. عناية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشورى:

يشهد لذلك مواقفه الكثيرة ومن ذلك:

(أ) شورى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بدر:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاور حين بلغَه إقبالُ أبي سفيانَ، قال: فتكلَّم أبو بكرٍ فأعرض عنه، ثم تكلم عمرُ فأعرض عنه، فقام سعدُ بنُ عبادة، فقال: إيَّانا تريدُ يا رسولَ اللهِ؟ والذي نفسي بيدِه، لو أمرتَنا أن نُخيضَها البحرَ

(١) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٣٤٢).
(٢) نظام الدّولة في الإسلام، جعفر عبد السلام (ص١٩٩).

لأَخَضْناها، ولو أمرتَنا أن نضربَ أكبادها إلى بركِ الغمادِ لَفَعَلْنا، قال: فنَدَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا»[(١)].

(ب) شورى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسرى بدر:

استشار رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأُسارى أبا بكرٍ، فقال: قومُك وعشيرتُك، فخلِّ سبيلَهم، فاستشار عمرَ، فقال: اقتُلْهم، قال: ففداهم رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنفال:٦٧].

(جـ) شورى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في حادثة الإفك:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دعا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالبٍ وأسامةَ بن زيدٍ، حين استَلبَثَ الوحيُ، يسأَلُهما ويستشيرهما في فِراق أهلِه، قالت: فأمَّا أسامةُ فأشارَ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذي يَعْلَمُ مِن براءةِ أهلِه، وبالذي يعلم لهم في نفسِه، فقال أسامة: أَهْلُكَ، ولا نعلمُ إلا خيرًا، وأما عليٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ، لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنساءُ سواها كثيرٌ، وسل الجاريةَ تَصدُقك»[(٢)].

(د) شورى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في غزوة أحد:

شاور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «**لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله**».

٣. الشورى منهج الأنبياء:

شاور إبراهيم ابنَه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في رؤيا ذبحه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ [الصافات:١٠٢].

٤. الشورى من خصال المؤمنين:

قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:٣٨].

---

(١) صحيح مسلم، باب غزوة بدر، رقم الحديث (١٧٧٩)، (٣/ ١٤٠٣).

(٢) صحيح البخاري، باب حديث الإفك، رقم الحديث (٤١٤١)، (٥/ ١١٦).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الشورى:

١. قال عمرو بن العاص: «الرجال ثلاثة: فرجل تام، ونصف رجل، ولا شيء، فإنما الرجل التام فالذي أكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمرًا لم يمضه حتى يستشير أهل الرأي الألباب، فإن وافقوه حمد الله وأمضى رأيه فلا يزال ذلك مصيبًا موفقًا، والنصف الرجل الذي يكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمرًا لم يستشر فيه أحدًا، وقال: أي الناس كنت أطيعه وأترك رأيي لرأيه، فمصيب ومخطئ، والذي لا شيء الذي لا دين ولا عقل له ولا يستشير في الأمر فلا يزال ذلك مخطئًا»[(١)].

٢. قال الحسَن البصري: «ما شاوَر قومٌ قط إلا هُدُوا لأرشَدِ أمورهم»[(٢)].

٣. قال عمر بن الخطاب: «الرجال ثلاثة: رجل عفيف، مسلم، عاقل، يأتمر في الأمور إذا أقبلت، ويسهب فإذا وقعت يخرج منها برأيه، ورجل عفيف مسلم ليس له رأي فإذا وقع الأمر أتى ذا الرأي والمشورة فشاوره واستأمره، ثم نزل عند أمره، ورجل جائر، حائر، لا يأتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا»[(٣)].

أبيات حول الشورى:

قال بشار:

إِذا بلغ الرَّأي المشورة فَاسْتَعِنْ ... بِرَأي لَبِيب أَو نصاحة حَازِم

وَلَا تحسب الشورى عَلَيك غَضَاضَة ... فَإِن الخوافي رافدات القوادم[(٤)]

وقال آخر:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... وإن تكن أنت من أهل المشوراتِ[(٥)]

---

(١) الجامع في الحديث لابن وهب (ص٣٩٥).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٤).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٥٥٩).
(٤) درة الغواص في أوهام الخواص (ص٢٩).
(٥) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة (ص٢٧٦).

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. ما مفهوم بر الوالدين لغة واصطلاحًا؟
٢. تتجلى قيمة بر الوالدين في نقاط أذكرها؟
٣. اذكر خمسًا من آداب بر الوالدين مستدلًّا بالأبيات؟
٤. عرّف صلة الرحم لغة واصطلاحًا، مع بيان قيمتها من خلال أقوال السّلف، وذكر خمسة من آدابها؟
٥. ما مفهوم حسن الجوار لغة واصطلاحًا، مع تجلي أهمية حسن الجوار في الكتاب والسنة، مع ذكر أقوال السلف في ذلك؟
٦. عرفّ الأخوة الإسلامية لغةً واصطلاحًا، مع بيان قيمتها من خلال أقوال السّلف، وما يساعد في تحقيق الأخوّة الإسلاميّة؟
٧. ما مفهوم إصلاح ذات البين، لغةً واصطلاحًا، مع بيان قيمتها مع ذكر الأدلة.
٨. أذكر خمسًا من الأدلة في أهمية الإمامة ولزوم الجماعة.
٩. بين قيمة الشورى مع ذكر الدليل.

الفصل الرابع

القيم الاقتصادية

المبحث الأول: قيمة حسن التدبير.

المبحث الثاني: قيمة تجنب الإسراف والتبذير.

المبحث الثالث: قيمة الإنفاق في سبيل الله.

المبحث الرابع: قيمة الكسب الحلال.

المبحث الخامس: قيمة تجنب الشح والبخل.

الفصل الرابع
القيم الاقتصاديّة[١]

المبحث الأول
قيمة حسن التدبير

حسن التدبير هو التّصرف الحكيم مع الموارد وشؤون الحياة ويشمل المال والمهنة والعمر والاحتياجات المعيشية وهو من الحكمة.

وقد حثت الشريعة الإسلامية على حسن التدبير في جميع شؤون حياة المسلم مثل الاستفادة من الفراغ والوقت وعدم التسويف واجتناب الفوضى وتنظيم الأمور بحكمة وإتقان.

أولًا: مفهوم حسن التدبير:

حسن التّدبير لغةً: آخر كل شيء دبره، وأدبار الأمور عواقبها، وضد حسن التدبير: سوء التدبير والهمج[٢].

واصطلاحًا: النظر في العواقب بمعرفة الخير، وقيل: النظر في عاقبة الأمور لتقع على الوجه الأكمل[٣]، وقيل: التصرف في الأسباب الضرورية[٤]، وهو: تقويم الأمر على ما يكون فيه صلاح العاقبة كإصلاح الرجل ماله، وولده وأصحابه.

وخلاصة ما سبق فإن حسن التدبير ضرب من أنواع الحكمة وسمة من سمات

---

(١) هي القيم والضوابط الأخلاقيّة المرتبطة بالمال والاقتصاد.
(٢) لسان العرب (٢/ ٣٩٣).
(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم (ص٤٥١).
(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ص١٧٥).

العقل السّليم والذكاء المالي وحسن التصرف في الأمور، وضدّه سوء التّصرف والهمجيّة والفوضى في القول والفعل وفي شؤون الإنسان وحياته.

ثانيًا: أهمية قيمة حسن التّدبير:

تتجلى مكانة حسن التدبير في النّقاط الآتية:

١. أمر الله بحسن التدبير والاعتدال في الانفاق:

حسن التّدبير قيمة عالية لدى العقلاء وقد حثّ الله على الاعتدال والقصد في الإنفاق بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان:٦٧]، وقال أيضًا: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٦]، فالإسراف والتّبذير مناقض لحسن التّدبير.

٢. من أركان حسن التدبير الرشد:

نهى الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إيتاء المال إلى السّفهاء حتى يبلغوا مرحلة الرشد وحسن التدبير قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ ﴾ [النساء:٥-٦]، والمراد بالرشد عند الجمهور في المعاملات المالية: هو حسن التدبير في المال؛ بأن يتصرف فيه تصرف العقلاء[(١)].

٣. حسن التدبير منهج الأنبياء:

من حسن التدبير ما ذكره الله تعالى في قصة سيدنا يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث أنقذ الله بحسن تدبيره عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الأمة من هلاك متحقق، ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ [يوسف:٤٧]، جاء في التفسير: أن الآية دالة على حسن التدبير[(٢)].

---

(١) المبسوط، للسرخسي (٣/ ٨٧).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٢٤٥).

وأخبر عن نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩] والمعنى «أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغده»(١).

٤. حسن التدبير نصف المعيشة:

صرف المال في الوجه الصحيح نصف المعيشة وهو يعين على تحقيق الاكتفاء الذاتي والمعيشة المناسبة وقد قيل: «التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال أحد اليسارين»(٢)، و«من فقه الرجل رفقه في معيشته»(٣). وفي الحديث: «**الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءًا من النبوّة**». وقال أيضًا: «**ما عال مقتصد قط**»(٤).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن التدبير في شؤونه وشؤون أصحابه من ذلك أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: «ائت فلانًا، فإنه قد كان تجهز، فمرض»، فأتاه، فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فو الله لا تحبسي منه شيئا، فيبارك لك فيه»(٥).

قال ابن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حسن التدبير في أصحابه فهذا الرجل الذي جاء إليه إني أريد الغزو وليس عندي شيء يعني يغزو به فأحاله على رجل كان قد تجهز ليغزو ولكن مرض ثم إن الرجل ذهب إلى صاحبه فأخذ جهازه وقال لامرأته: لا تتركي منه شيء فإنك لم تتركي شيء فيبارك لنا فيه فجهزه»(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٨).
(٢) الدر المنثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٥/ ٢٧٧).
(٣) رواه أحمد، (٥/ ١٩٤). والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٥٤) (٦٥٦٥).
(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٣) (١٢٦٥٦).
(٥) صحيح البخاري، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم الحديث (١٣٤) (٣/ ١٥٠٦).
(٦) شرح رياض الصالحين، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين (٥/ ٣٦٥).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة حسن التدبير:

١. قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد».

٢. قال يحيى بن معاذ الرازي: «المغبون من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات»[(١)].

٣. قال إبراهيم البلخي: «سمعت ابن عيينة وحماد بن زيد يقولان: لا تتم الرئاسة للرجال إلا بأربع علم جامع وورع تام وحلم كامل وحسن التدبير فإن لم يكن هذه الأربعة فمائدة منصوبة وكف مبسوطة وبذل مبذول وحسن المعاشرة مع الناس فإن لم يكن هذه الأربع فبضرب السيف وطعن الرمح وشجاعة القلب وتدبير العساكر فإن لم يكن فيه من هذه الخصال شيء فلا ينبغي له أن يطب الرئاسة»[(٢)].

٤. قال ابن كثير: «كان عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز، وجاع الناس جوعًا شديدًا وجفلت الأحياء إلى المدينة، ولم يبق عند أحد منهم زاد، فلجأوا إلى أمير المؤمنين، فأنفق فيهم من حواصل بيت المال، مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفذه»[(٣)]، وهذا من حسن تدبير الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥. قال الثعالبي: «التدبير يثمر اليسير، والتبذير يبدد الكثير، وحسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الإسراف، والقصد أسرع تبليغًا إلى الغاية وتحصيلًا للأمر، وفي إصلاح مالك جمال وجهك، وبقاء عزك، وصون عرضك، وسلامة دينك، والتقدير نصف الكسب، وأفضل القصد عند الجدة، وعليك من المال بما يعولك ولا تعوله»[(٤)].

---

(١) المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي (ص١٣١).
(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٦/ ٧٦).
(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (١٠/ ٦٨).
(٤) التمثيل والمحاضرة، للثعالبي (ص٤٢٨).

٦. وقيل: «ما وقع تبذير في كثير إلّا هدمه ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره. وقيل: إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه»[١].

وخلاصة ما سبق: أن حسن التدبير والاقتصاد في المعيشة قيمة عالية وخلق رفيع ومن الحكمة في تنظيم الأعمال وتخطيطها وتوفير الأوقات والجهد ومنع الفقر ومهمة جدا بالنسبة إلى الإنسان في حياته كلها حيث ينظم أوقاته ويخطط أعماله ويضع الأمور في مواضعها ويستفيد من الفرص الثمينة وينجح في حياته حتى ينتفع بعد مماته.

رابعًا: مجالات حسن التدبير:

حسن التدبير يكون في أمور عديدة منه ما يأتي:

١. **المال:** وذلك بصيانته وزيادته وحفظه من مصارف السوء: السرف والحرام.

٢. **الصنعة:** وذلك بإتقان الصنعة كالتجارة أو الزراعة أو مهنة من المهن أو مهارة من المهارات كالتقنية والكهرباء والسباكة والتغذية وغيرها.

٣. **الوقت:** وذلك بإدارته وحسن الإفادة منه وعدم تضييعه فيما لا يفيد.

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني (١/ ٥٧٨).

المبحث الثاني

قيمة تجنب الإسراف والتبذير

الإسراف والتبذير خلق مذموم نهى عنه الشرع الحنيف وحذر منه وبين أنه مسلك يكرهه الله جَلَّوَعَلَا؛ ولذا فقد جاءت الشريعة الإسلامية محذرة من الإسراف والتبذير ناهية عنه داعية إلى سلوك طريق الوسط والاعتدال في الإنفاق.

أولًا: مفهوم الإسراف لغةً واصطلاحًا:

الإسراف لغةً: من سرف: والسرف والإسراف هو: ضدّ القصد[١].

واصطلاحًا: هو تجاوز الحدّ في النّفقة[٢] وقيل: الإبعاد في مجاوزة الحدّ[٣].

ثانيًا: التحذير من الإسراف والتبذير في الإسلام:

حذرت الشريعة الإسلامية من التبذير والإسراف يتجلى ذلك في النّقاط الآتية:

١. الله لا يحب المسرفين:

نهى الله عن الإسراف وأخبر أنه لا يحب المسرفين بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١]، وأمر بالزينة والأكل والشرب دون سرف فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، وفي مجال رعاية أموال اليتامى نهى عن الإسراف فيها حيث قال سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ [النساء:٦].

وفي الحديث قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كلوا، وتصدقوا، والبسوا في غير إسراف، ولا مخيلة**»[٤].

---

(١) لسان العرب (٩/ ١٤٨).

(٢) التعريفات، للجرجاني (ص٢٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص٥٠).

(٤) أخرجه النسائي، باب الاختيال في الصدقة، برقم الحديث (٢٥٥٩) وحسنه الألباني (٥/ ٧٩).

٢. المبذر فيه شبه من الشيطان:

نهى الله عن التبذير بقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦]، ولشناعة فعل المبذرين وصفهم الله بأنهم إخوان الشياطين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٧].

٣. الله عَزَّوَجَلَّ يكره إضاعة المال وإسرافه:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»(١).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة الإسراف والتبذير:

١. قال إياس بن معاوية: «ما جاوزت به أمر الله فهو سرف»(٢).

٢. قال سفيان: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلًا»(٣).

٣. قال ابن القيم: «إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضًا، إذ إنه متى زادت أخلاطه عن حد العدل والوسط ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مطرد أيضًا في الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك»(٤).

رابعًا: من عواقب الإسراف والتبذير:

١. يجلب غضب الرب لأنه ينافي كمال الإيمان.

٢. التشبه بالشيطان في الإفساد.

٣. إضاعة المال والفقر والندم والحسرة على ما ضاع من غير فائدة.

٤. يطبع المجتمع بطابع الانحلال والبعد عن الجد والاجتهاد.

٥. يدع المجتمع عالة على غيره عاجزًا عن القيام بمهامه(٥).

---

(١) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ برقم الحديث (١٤٧٧)، (٢/ ١٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٢).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (٤/ ٢٥٦).

(٤) ينظر: الفوائد، لابن القيم (ص٢٠٥).

(٥) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٩٥).

المبحث الثالث

قيمة الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق في سبيل الله فضيلة خلقية وقيمة سامية رغب فيها الإسلام ورتب عليها الأجر العظيم في الآخرة والخلف المضاعف والبركة في الدنيا، وفيه سعادة الدارين وحلاوة الإيمان ولذته وبشاشته وراحة بال.

أولًا: مفهوم الإنفاق لغةً واصطلاحًا:

الإنفاق لغة: مصدر أنفق، وهو الإخراج[(١)].

واصطلاحًا: الإنفاق إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات[(٢)].

ثانيًا: أهمية قيمة الإنفاق في سبيل الله:

تتجلى مكانة قيمة الإنفاق في سبيل الله في النّقاط الآتية:

١. الإنفاق في سبيل الله مخلوف:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

٢. مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المنفقين في سبيله:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤].

٣. الله يضاعف الصّدقات أضعافًا مضاعفة:

يضاعف الله أجر الصدقة قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ٤٥٠٨-١٠/ ٣٥٨)، والصحاح (١/ ١٥٦٠).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٥١٤).

٤. الإنفاق في سبيل الله زكاة للنفس:

الصّدقة زكاة وطهرة للمسلم، فبها تزكو نفسه، ويرق قلبه، وتطيب روحه، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣].

٥. الإنفاق في سبيل الله من أسباب دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»(١).

٦. دعاء الملائكة للمنفق في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(٢).

٧. الترغيب في الانفاق في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «**ما يسرني أن لي أُحدًا ذهبا يأتي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار إلا دينارًا أرصده لدين علي**»(٣)، والصدقة دليل وبرهان على إيمان صاحبها؛ قال ﷺ: «**والصدقة برهان**»(٤)، والجنة أبواب ومنها باب الصدقة، وأجر الصدقة يضاعف إلى سبعمائة ضعف يوم القيامة إلى أضعاف كثيرة، والصدقة تظِل العبد يوم

---

(١) صحيح البخاري، باب الريان للصائمين، برقم الحديث (١٨٩٧) (٣/ ٢٥).
(٢) صحيح البخاري، برقم الحديث (١٤٤٢) (٢/ ١١٥)، وصحيح مسلم، (٥٧) (٢/ ٧٠٠).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم الحديث (١٠٠٣١).
(٤) صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، برقم الحديث (٢٢٣) (١/ ٢٠٣).

القيامة وتحول بينه وبين حر الشمس حينما تدنو من رؤوس الخلائق، وتطفئ غضب الربّ، وتدفع ميتة السوء، قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**»(١)، وقال أيضًا: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس، أو قال: حتى يحكم بين الناس قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق منه بشيء، ولو كعكة ولو بصلة**»(٢)، وجاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة**»(٣).

٨. أمره ﷺ أصحابه بالإنفاق في سبيل الله:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا»(٤).

ثالثا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة الإنفاق في سبيل الله:

١. عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في فضل الصدقة، برقم الحديث (٦٦٤). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» (٣/ ٤٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، باب إظلال الصدقة صاحبها يوم القيامة، برقم الحديث (٢٤٣١)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم (٤/ ٩٤).

(٣) صحيح مسلم، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، برقم الحديث (١٣٢). (٣/ ١٥٠٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح (٥/ ٦١٤).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الشح، برقم الحديث (٢٨٠). وصححه الألباني (ص١٤٦).

٢. قال ابن الجوزي: «ويحك ما تصنع بادخار مال لا يؤثر حسنة في صحيفة، ولا مكرمة في تاريخ أما سمعت بإنفاق أبي بكر وبخل ثعلبة أما رأيت مآثر مدح حاتم وبخل الحباب ويحك لو ابتلاك في مالك بقلة استغثت، أو في بدنك ليلة بمرض شكوت. إنما نزيد كمال مرادك فأنت تستوفي مطلوباتك منه ولا يستوفي حقه عليك».

أبيات في قيمة الإنفاق في سبيل الله:

قال الشاعر:

ألا لا تلمني على بذل مالي ... فصوني لعرضي بمالي جمالي

وصوني لمالي بعرضي فساد ... لعرضي ودِيني وجاهي ومالي[١]

(١) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، لأبي إسحق برهان الدين محمد الوطواط (ص٣٦).

المبحث الرابع

قيمة الكسب الحلال

حضّ الإسلام على الكسب الحلال وحذّر من الحرام كالسرقة، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والغش، والرشوة، واحتكار السلع، وغيرها من المعاملات المحرمة والوسائل المؤدية اليها.

أولًا: مفهوم الحلال لغةً واصطلاحًا:

لغةً: ضدّ الحرام[١].

واصطلاحًا: هو الجائز المأذون به شرعًا[٢].

ثانيًا: أهمية قيمة الكسب الحلال:

تتجلى مكانة قيمة الكسب الحلال في النّقاط الآتية:

١. أمر الله بالكسب الحلال والطيب من الرزق:

لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون:٥١].

٢. حذّر الله من الكسب الحرام:

نهى الله عن الكسب الحرام بكافة أشكاله وصوره؛ فحرم الربا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٠]، وشبه آكلي الربا بالذي بهم مس من الشيطان فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾ [البقرة:٢٧٥]، كما توعد المرابين بالحرب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٢٠).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٨/ ٧٤).

تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩]. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

ومن الكسب الحرام الذي نهى الله عنه السرقة قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٨]، وحرم الله كذلك التطفيف في الميزان فقال: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين:١، ٢]، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من غش في سلعة، أو دلس، أو زاد في عدد، أو نقص، أو زاد في ذرع، أو نقص، فهو مطفف في الكيل، داخل تحت الوعيد بالويل»(٢).

٣. نهى الله عن أكل أموال الناس بالباطل:

قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨]، وأصل الباطل: «الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع، قد يكون بطريق الغش، والخداع، والتدليس، وقد يكون بطريق الغصب، والنهب، وقد يكون بطريق اللهو، كالقمار، وقد يكون بطريق الرشوة، والخيانة»(٣).

٤. خير الكسب العمل باليد:

حث النبي ﷺ على الكسب من عمل اليد حيث قال ﷺ: «**ما أكل أحد طعاما قط، خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **كان يأكل من عمل يده**»(٤)، وقال أيضًا: «**طلب الحلال واجب على كل مسلم**»(٥)،

---

(١) صحيح مسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم الحديث (١٤٥)، (١/ ٩٢).
(٢) أضواء البيان، للشيخ الشنقيطي (٨/ ٤٥٧).
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/ ٢١٠).
(٤) صحيح البخاري، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم الحديث (٢٠٧٢). (٣/ ٥٧).
(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، قال المنذري: وإسناده حسن إن شاء الله (١٠/ ٢٩١).

وقيل: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل المرء بيده، وكل بيع مبرور**»(١).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»(٢).

ثالثا: إضاءات من أقوال السلف حول قيمة الكسب الحلال:

١. قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكسب الحلال أشد من لقى الزحف»(٣).

٢. قال مالك بن دينار: «دخل علي جابر بن يزيد وأنا أكتب، فقال: يا مالك ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله الكسب الحلال»(٤).

٣. قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلى من الموت بين شعبتي رحلي، أبتغي من فضل الله، ضاربًا في الأرض».

٤. قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن المشاهدةِ أن بعض النواحي يكثر فيها الصالحون والمتقون، وبعضها يقلون فيه، ولقد استقرينا سبب ذلك فلم نجده غير أكل الحلال، أو قلة تعاطي الشبهات، فكل ناحية كثر الحِلُّ في قوت أهلها كَثُر الصالحون فيها، وعكسه بعكسه»(٥).

---

(١) رواه البزار والحاكم قال الحاكم: صحيح الإسناد، ينظر: في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي (١/ ٥٠٣).
(٢) صحيح مسلم، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم الحديث (٦٥). (٢/ ٧٠٣).
(٣) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (١١/ ١٧٥).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٣٦٧).
(٥) الفتاوى الفقهية الكبرى (٣/ ٣٧٢).

٥. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس»[(١)].

٦. في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور:٣٨] قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك ، فلا يعطيها إلا من يحب»[(٢)].

أبيات في قيمة الكسب الحلال:

قال الشاعر:

لنقل الصخر من قلل الجبال ... أخفّ عليّ من منن الرجال

يقول الناس لي في الكسب عار ... فقلت العار في ذلّ السؤال[(٣)]

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٣٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٩٥).

(٣) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم الحنفي (ص٣٥٦).

المبحث الخامس

قيمة تجنب الشّح والبخل

الشّح والبخل خلق مكروه ذمَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في غير آية من كتابه الكريم، وتوعَّد أصحابه بوعيد شديد، وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة.

أولًا: مفهوم الشّح والبخل لغةً واصطلاحًا:

الشح لغةً: البُخْل مَع حِرْصٍ، وتَشاحَّ القوم: إذا شَحَّ بعضهم على بعض[١].

واصطلاحًا: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له[٢]، وقيل: الإفراط في الحرص على الشيء[٣].

البخل لغةً: ضدُّ الكرمِ والجُودِ، وقد بخلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، والبَخَّال: الشَّديد: البُخْل[٤].

واصطلاحًا: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه[٥]، وهو: المنع من مال نفسه[٦]، وقيل: هو منع الواجب.

ما الفرق بين البخل والشح؟

قيل هما مترادفان، وقيل: البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك، والشحُّ: «الحرص على تحصيل ما ليس عندك»[٧] ، ويبين ابن القيم الفرق بينهما بقوله: «الشحَّ هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس

(١) الصحاح، للجوهري (١/ ٣٧٨)، المصباح المنير، للفيومي (١/ ٣٠٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٢).
(٣) جامع البيان، الطبري (٩/ ٢٨٢).
(٤) تاج العروس، الزبيدي (٢٨/ ٦٢)، مختار الصحاح، الرازي (١/ ٧٣).
(٥) مفردات القرآن، الأصفهاني (١/ ١٠٩).
(٦) التعريفات، الجرجاني (ص٤٢).
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ٢٩٣).

عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه، وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشحِّ، والشحُّ يدعو إلى البخل، والشحُّ كامن في النفس، ومن لم يبخل فقد عصى شحَّه ووقي شرَّه، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]»[(١)].

ثانيًا: خطورة الشح والبخل:

تتجلى خطورة الشح والبخل في النّقاط الآتية:

١. حذر الله من البخل:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤]، وقال أيضًا: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨]، وقال أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤].

٢. ترك الشح طريق للفلاح:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

٣. الشح عاقبته وخيمة يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

٤. الشح طريق الهلاك:

قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم**»[(٢)]، وقال أيضًا: «لا يجتمع غبار في سبيل الله

(١) الوابل الصيب، ابن القيم (ص٣٣).

(٢) صحيح مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، برقم الحديث، (٥٦)، (٤/ ١٩٩٦).

ودخان جهنم في منخري رجل مسلم أبدًا، ولا يجتمع شحٌّ وإيمان في قلب رجل مسلم أبدًا»[(١)].

ومدحت امرأة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: صوَّامة قوَّامة إلا أن فيها بخلًا، قال: «**فما خيرها إذن؟**».

كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ من البخل بقوله: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر**».

٥. الشح طريق الشيطان:

الإيحاء بالفقر والتخويف منه هو وعد شيطاني، كما أن وعد الله هو المغفرة للذنوب وزيادة الفضل، يقول الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

٦. التحذير من الحرص على المال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[(٢)]، و قال أيضًا: «**يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر**»[(٣)].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة تجنب الشح:

١. قال طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء؛ لكننا نتصبر»، وقال محمد بن المنكدر: «ذا أراد الله بقوم شرًّا أمَّر الله عليهم شرارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم»[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، برقم الحديث (٣١١٤)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٦/ ١٤).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم الحديث (٢٣٧٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٤/ ٥٨٨).

(٣) صحيح مسلم، باب كراهة الحرص على الدنيا، برقم الحديث (١١٤) (٢/ ٧٢٤).

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/ ٢٥٥).

٢. قال يحيى بن معاذ: «ما في القلب للأسخياء إلا حبٌّ؛ ولو كانوا فجارًا، وللبخلاء إلا بغض؛ ولو كانوا أبرارًا»[(١)].

٣. قيل: «بشر مال البخيل بحادث، أو وارث»[(٢)].

٤. قيل: «لا تزوِّج البخيل ولا تعامله، ما أقبح القارئ أن يكون بخيلًا»[(٣)].

رابعًا: الوسائل المعينة على ترك الشّح و البخل:

١. حسن الظنّ بالله، وليعلم المرء أن الله الذي أمره بالإنفاق قد تكفل له بالزيادة، وقد قيل: قلة الجود سوء ظن بالمعبود.

٢. الإكثار من الصّدقة، وإن كان ذلك ثقيلا على من اتصف بهذه الصفة، وبذلك يعتاد على صفة الكرم والإنفاق، قال ابن القيم: «فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل، كالحجام يستخرج منك الدم المهلك».

٣. الاستعاذة بالله من البخل.

٤. التّأمل في الآيات الواردة في ذم البخل، وما أعده الله للمتصفين بهذه الصفة القبيحة.

٥. صرف القلب إلى عبادة المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومعرفة أن المستقبل بيد الله إن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن كنت أحرص الناس.

٦. عدم الخوف على المستقبل، والتيقن أن الخالق قد خلق أرزاق خلقه، ولن يضيعهم.

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٥٦).
(٢) الآداب الشرعية، ابن مفلح (٣ / ٣١٧).
(٣) المرجع السابق (٣/ ٣١١).

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. عرف حسن التّدبير اصطلاحًا، مبينًا قيمته مع ذكر ثلاثة أدلة على ذلك.
٢. اذكر أربعة من أقول السّلف في حسن التدبير؟
٣. ما مفهوم الإسراف والتدبير، مع ذكر دليلين من خلال ما درست؟
٤. اذكر إضاءات من أقوال السلف في التحذير من الإسراف؟
٥. بين قيمة الإنفاق في سبيل الله مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة؟
٦. اذكر ثلاث نقاط مع الأدلة على قيمة الكسب الحلال؟
٧. اكتب مقالًا علميًّا موجزًا عن الشح والبخل مدعمًا بالشواهد والأدلة.

الفصل الخامس

القيم النّفسيّة

المبحث الأول: قيمة التّواضع.

المبحث الثاني: قيمة الحياء.

المبحث الثالث: قيمة الشّجاعة.

المبحث الرابع: قيمة المروءة.

المبحث الخامس: قيمة الكرم.

الفصل الخامس
القيم النّفسيّة[١]

المبحث الأول
قيمــة التواضــع

التواضع من القيم السّامية التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها وحثّ عليها لآثارها الحميدة على الفرد والمجتمع، ولقد كان سيدنا رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامًا في التواضع في ملبسه، ومأكله، ومسكنه، وسمته كله.

والتواضع هدوء وسكينة ووقار واتزان، وحسن معاملة، وهو خلق حميد، وجوهر لطيف، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وهو من أخص خصال المؤمنين المتقين، وما تواضع أحد لله تعالى، إلا رفعه الله سبحانه.

أولًا: مفهوم التّواضع لغةً واصطلاحًا:

التّواضع لغةً: يدل على الخفض للشيء، وهو التذلل، وتواضع الرجل: إذا تذلل، وقيل: ذل وتخاشع[٢].

واصطلاحًا: «ترك الترؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرز من الإعجاب والكبر»[٣]، وقيل: «رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته. وهو وسط بين الكبر والضعة»[٤].

(١) هي القيم التي لها علاقة بالنفس وبذات الفرد والتي تشكل وجهة نظره للحياة وطريقته في التعامل الاجتماعي ومن ثم تحقق التكيف والتوافق النفسي له.
(٢) العين، للفراهيدي (٢/ ١٩٦)، وتاج العروس، لمرتضى الزبيدي (٢٢/ ٣٤٣).
(٣) تهذيب الأخلاق، للجاحظ (ص٢٥).
(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني (ص٢٩٩).

ثانيًا: أهمية قيمة التّواضع:

تتجلى مكانة قيمة التّواضع في النّقاط الآتية:

١. أمر الله نبيه بالتواضع للمسلمين:

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٥]، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء:٣٧].

٢. التواضع طريق إلى الجنة:

قال سبحانه: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣]، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة»[(١)].

٣. التواضع صفة يحبها الله في عباده:

قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤]، أي: «عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع»[(٢)].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[(٣)].

٤. التواضع سبب الرفعة في الدنيا والآخرة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(٤)]، وقال أيضًا: «**من ترك اللباس تواضعًا لله وهو**

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٣٧٣).
(٢) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٣/ ٤١٢).
(٣) صحيح مسلم، باب الصّفات التي يعرف بها في الدّنيا أهل الجنّة وأهل النّار، برقم الحديث (٦٤)، (٤/ ٢١٩٨).
(٤) صحيح مسلم، باب استحباب العفو والتواضع، برقم الحديث (٦٩)، (٤/ ٢٠٠١).

يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»[(١)].

٥. رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام المتواضعين:

ضرب لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في التواضع، فلم يكن يحب أن يعظمه الناس، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا خير البرية فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٢)]، أتى رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له: «**هون عليك نفسك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**»[(٣)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت**»[(٤)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نحن جلوس مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكئ بين ظهرانيهم»[(٥)]، وهذا من تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يكن يختار مجلسًا خاصًّا أو مكانًا خاصًّا به أو لباسًا خاصًّا، بل كان حاله مثل أصحابه لا فرق بينه وبينهم، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير»[(٦)].

---

(١) أخرجه الترمذي، في سننه، برقم الحديث (٢٤٨١)، (٤/ ٦٥٠).
(٢) صحيح مسلم، باب من فضائل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، برقم الحديث (١٥٠)، (٤/ ١٨٣٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب القديد، برقم الحديث (٣٣١٢)، وصححه الألباني، (٢/ ١١٠١).
(٤) صحيح البخاري، باب القليل من الهبة، برقم الحديث (٢٥٦٨)، (٣/ ١٥٣).
(٥) صحيح البخاري، باب ما جاء في العلم. قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ برقم الحديث (٦٣)، (١/ ٢٣).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير وغيره، صحيح بطرقه. وانظر: الصحيحة (٢١٢٥).

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**»، يقول ابن الأثير: «أراد به التواضع والإخبات، وألا يكون من الجبارين المتكبرين».

فالتواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، والترقي في الكمالات، يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وهو السبيل إلى القرب من الله تعالى، ثم القرب من الناس.

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة التّواضع:

١. قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين والشرف في التواضع»[(١)].

٢. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أفضل العبادة التواضع»[(٢)].

٣. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من تواضع لله تخشعًا، رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا، وضعه الله يوم القيامة»[(٣)].

٤. قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف»[(٤)].

٥. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال: أنعش نعشك الله فهو في عينه حقير وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعدا وهصه الله إلى الأرض، فقال: اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير»[(٥)].

٦. قال عبد الله بن المعتز: «التواضع سلم الشرف»[(٦)].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/ ٥٣١).
(٢) التواضع، ابن أبي الدنيا (ص١٠٧).
(٣) الزهد، وكيع بن الجراح (ص٤٦٧).
(٤) الزهد، عبد الله بن المبارك (٢/ ٥٢).
(٥) الآداب، البيهقي (ص٨١).
(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع؛ الخطيب البغدادي (١/ ٣٥١).

أبيات في التواضع:

قال الشاعر:

تواضع إذا ما نلتَ في الناس رفعةً ... فإن رفيع القوم من يتواضعُ

ولا تمشِ فوق الأرض إلا تواضعًا ... فكم تحتها قومٌ هُمُوا منك أرفعُ

وإن كنت في عزٍّ رفيعٍ ومنعةٍ ... فكم مات من قومٍ هُمُوا منك أمنعُ

وقال آخر:

كم من جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله

ومميز في علمه ... هدم التكبر فضله

فدع التكبر ما حييت ... ولا تصاحب أهله

فالكبر عيب للفتى ... أبدًا يقبح فعله

المبحث الثاني

قيمة الحياء

حثت الشريعة الإسلامية على التحلي بفضيلة الحياء، فهو خلق نبيل يحول بين الإنسان و فعل ما يشين، ويصونه من الوقوع في الأوزار والآثام وكل ما يستقبحه العقل ولا يقبله الذوق السليم.

وإذا تحلى المسلم بهذا الخلق، صحت سريرته وعلانيته، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه، فأصبح حييًا راقيًا في تعامله لا يقبل إلا الحلال.

أولًا: مفهوم الحياء لغةً واصطلاحًا:

الحياء لغة: ضد الوقاحة[١] وهو: التوبة والحشمة[٢].

واصطلاحًا: هو انقباض النفس من شيء، وتركه حذرًا عن اللوم فيه[٣].

وقيل: خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التّقصير في حق ذي الحقّ.

والحياء نوعان: نفساني وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرم خوفًا من الله[٤].

ثانيًا: أهمية قيمة الحياء:

وتتجلى مكانة قيمة الحياء في النقاط الآتية:

١. الحياء من صفات الله عَزَّوَجَلَّ والله يحب الحياء:

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفرًا، ليس فيهما شيء**»[٥]، وعن أشج عبد القيس أنه قال: قال لي رسول الله

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).
(٢) لسان العرب (١٤/ ٢١٧).
(٣) التعريفات (٩٤).
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (١٥٠).
(٥) أخرجه أبوداود، في سننه، باب الدعاء، برقم الحديث (١٤٨٨)، (٢/ ٦١٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن فيك خلتين يحبهما الله** عَزَّوَجَلَّ». قلت: ما هما؟ قال: «**الحلم والحياء**»[(١)].

٢. الحياء خلق تخلق به الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن موسى كان حييًّا ستيرًا، لا يرى من جلده شيء استحياء من الله فآذاه من آذاه من بني إسرائيل**»[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خدرها»[(٣)].

٣. الحياء رأس مكارم الأخلاق:

فهو مقياس الأخلاق الحسنة وعلامتها، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**»[(٤)]، ومدح الله سبحانه ابنة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥].

٤. الحياء وقاية من الوقوع في المعاصي:

كان أحد الصحابة يعاتب أخاه على حيائه، وكأنما يقول له: قد أضر بك الحياء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[(٥)].

٥. الحياء صفةٌ من صفات الملائكة:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أستَحي من رجلٍ تستَحي منه الملائكةُ**» يقصد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦. الحياء أحد مفاتيح الجنة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النّار**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبوداود، في سننه، باب في قبلة الرجل، برقم الحديث (٥٢٢٥).
(٢) صحيح البخاري، برقم الحديث (٣٤٠٤)، (٤/ ١٥٦).
(٣) صحيح البخاري، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم الحديث (٣٥٦٢)، (٤/ ١٩٠).
(٤) أخرجه ابن ماجه، في سننه، باب الحلم، برقم الحديث (٤١٨٥)، (٥/ ٢٨٠).
(٥) صحيح البخاري، باب: الحياء من الإيمان، برقم الحديث (٢٤)، (ص١٤).
(٦) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في الحياء، برقم الحديث (٢٠٠٩)، وقال هذا حديث حسن صحيح (٤/ ٣٦٥).

٧. الحياء زينة للإنسان:

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه**»(١).

٨. الحياء وصية النبوة الأولى:

قال رجل للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أوصني: قال: «**أوصيك أن تستحيي من الله** عَزَّوَجَلَّ **كما تستحيي رجلًا من صالحي قومك**»(٢).

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن مما أدرك النّاس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٣).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الحياء:

١. قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا ابنه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ اللسان، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء».

٢. قال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يا معشر المسلمين استحيوا الله عَزَّوَجَلَّ فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطيًا رأسي استحياء من ربي عَزَّوَجَلَّ»(٤).

٣. قال ابن القيم: «خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف،

---

(١) أخرجه ابن ماجه، باب الحلم، برقم الحديث، (٤١٨٥)، (٥/ ٢٨٠).
(٢) الزهد لأحمد (ص٤٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦) حديث (٧٤١).
(٣) أخرجه ابن ماجه، باب الحياء، برقم الحديث (٤١٨٣)، (٢/ ١٤٠٠).
(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص١٧٢).

ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًّا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق»[(١)].

٤. قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه»[(٢)].

أبيات حول قيمة الحياء:

قال أبو تمام :

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ... ولمْ تستَحْي فافعَلْ ما تَشاءُ

فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَياءُ

يَعِيش المَرْءُ ما استحيَى بِخَير ... ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ

وقال شاعر آخر :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

وقال آخر:

إذا حرم المرء الحياء فإنه ... بكل قبيح كان منه جدير

فرج الفتى ما دام يحيا فإنه ... بكل قبيح كان منه جدير

(١) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص٢٧٧)

(٢) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة (ص٥٦).

المبحث الثالث

قيمــة الشّجاعــة

الشّجاعة خلق نفسي ينبعث من القلب فيكون ثابتًا قويًّا عند المهمات والمخاوف، والبشر يتمادحون بالشجاعة والنجدة والكرم، ويتذامون بالجبن والبخل وأعظم ما يوجد الشّجاعة ويقوّيها في النّفس هو الإيمان، وقوة التّوكل على الله، وكمال الثّقة به سبحانه.

أولًا: مفهوم الشّجاعة لغةً واصطلاحًا:

الشّجاعة لغةً: شدة القلب عند البأس، وأصل المادة يدل على جرأة وإقدام. يقال: شجع شجاعة: اشتد عند البأس[(١)].

واصطلاحًا: هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها وتكون في الأفعال والأقوال[(٢)].

وحدّ الشّجاعة: بذل النّفس للموت، عن الدّين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلما في المال، والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء قل من يعارض أو كثر[(٣)].

ثانيًا: أهمية قيمة الشجاعة:

وتتجلى مكانة قيمة الشجاعة في النقاط الآتية:

١. الشّجاعة من أبرز صفات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت

(١) لسان العرب، لابن منظور (٨/ ١٧٣).
(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي (ص٥٤).
(٣) الأخلاق والسير، لابن حزم (ص٨٠).

فاستقبلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا»[(١)]، وقال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)]، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا»[(٣)].

٢. الشجعان يدعون إلى الله ويبلغون رسالاته:

وقد امتدحهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩].

٣. تربية الله للأنبياء على الشجاعة:

بقوله لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٦].

٤. المؤمن الشجاع يحبه الله:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(٤)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في

(١) صحيح البخاري، باب حسن الخلق والسخاء، برقم الحديث (٦٠٣٣)، (٨/ ١٣).
(٢) صحيح مسلم، باب في غزوة حنين، برقم الحديث (٧٩)، (٣/ ١٤٠١).
(٣) رواه أحمد (١/ ٨٦) (٦٥٤)، وصحح إسناده أحمد شاكر في «تخريج المسند» (٢/ ٦٤).
(٤) صحيح مسلم، باب الأمر بالقوة وترك العجز، برقم الحديث (٣٤)، (٢/ ٢٠٥٢).

طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك»[(١)].

٥. الشّجاعة في قول الحق من الأمور التي بايع الصحابة عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن عبادة بن الوليد قال: «بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[(٢)].

٦. استعاذة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجبن:

كان من دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذة بالله من الجبن دبر كل صلاة وفي الصباح والمساء بقوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[(٣)].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الشّجاعة:

١. قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احرص على الموت، توهب لك الحياة»[(٤)].

٢. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجبن والشجاعة غرائز في الناس تلقى الرجل يقاتل عمن لا يعرف وتلقى الرجل يفر عن أبيه»[(٥)].

٣. كتب زياد إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن صف لي الشجاعة، والجبن، والجود، والبخل، فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع، ركبت في الإنسان تركيب الجوارح، اعلم

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٥).
(٢) صحيح مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم الحديث، (٤١)، (٣/ ١٤٧٠).
(٣) صحيح البخاري، باب ما يتعوذ من الجبن، برقم الحديث (٢٨٢٢)، (٤/ ٢٣).
(٤) العقد الفريد، لابن عبد ربه (١/ ٩٢).
(٥) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (ص٧٠).

أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه»[(١)].

٤. قال الذهبي: «الشجاعة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه»[(٢)].

أبيات في الشجاعة:

قال ابن الرومي:

وما في الناسِ أجودُ من شجاعٍ ... وإن أعطى القليلَ من النوالِ

وذلك أنّه يُعطيك مِمّا ... تُفيء عليهِ أطرافُ العوالي

وقال أبو الطيب المتنبي:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُجعانِ ... هُوَ أَوّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني

فإذا هُما اجتمعا لِنفسٍ مِرّةٍ ... بَلَغَت مِنَ العَلياءِ كُلّ مَكانِ

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٢/ ٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٩/ ٢٣٥).

المبحث الرابع

قيمــة المــروءة

المروءة خلق فاضل كريم، وسط بين طرفين، وهي تدعو النفس إلى التحلي بحلية الإنسانية الرفيعة الشريفة، واستعمال كل ما يجمل العبد ويزينه من الأخلاق والآداب وجميل العادات، والبعد عن كل ما يدنس نفسه ويشينها، ويجلب لها اللوم والعيب وإراقة ماء الوجه.

لذلك ترى صاحب المروءة فقيه النفس، حريصًا على أخلاق الكمال والجمال والطهر في ملبسه ومظهره ومدخله ومخرجه، وتراه كذلك مع الناس يستعمل الأدب والحياء والعفة والكرم والنزاهة والصيانة، وتراه ثالثا مع ربه يستحي منه أن يراه على معصية، أو يطلع على قلبه فيرى فيه غيره، أو تكون علانيته خيرا من سريرته ومن كانت رجولته كاملة كانت مروءته حاضرة.

أولًا: مفهوم المروءة لغةً واصطلاحًا:

المروءة لغةً هي: كمال الرجولة، وفلان تمرأ بالقوم: أي سعى أن يوصف بالمروءة بإكرامهم[(١)].

واصطلاحًا: المروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق[(٢)]، وقيل: آداب نفسانية، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات.

---

(١) ينظر العين، للفراهيدي (٨/ ٢٩٩)، (تاج العروس) للزبيدي (١/ ٤٢٧).
(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص٣٢٥).

ثانيًا: أهمية قيمة المروءة:

تتجلى مكانة قيمة المروءة في النّقاط الآتية:

١. شهد الله لأهل المروءة بالفلاح:

قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:١-٧].

٢. المروءة صفة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

يخبرنا الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٣-٢٤]. وهذا من مروءته عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ساعد الضعفاء.

وقال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩١-٩٢]، وهذا من مروءته عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لم يوبخهم على ظلمهم له.

وأخبرت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة نبينا الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولها: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[(١)].

٣. أهل المروءة أفضل الناس أخلاقًا:

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، قال

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم الحديث (٣)، (١/ ٧).

عبدالله بن الزبير: «ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق النّاس»[١]، وقال البيضاوي: «هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها»[٢].

٤. من المروءة السعي في إغاثة الملهوف وإعانة الآخرين:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السّاعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[٣]، وقال أيضًا: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئًا**»[٤].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة المروءة:

١. قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى»[٥].

٢. سئل محمد بن علي عن المروءة فقال: «أن لا تعمل في السر عملًا تستحي منه في العلانية»[٦].

٣. كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «خذ الناس بالعربية، فإنه يزيد في العقل، ويثبت المروءة»[٧].

٤. وقال علي بن الحسين: «من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل بنفسه وأهله»[٨].

٥. سئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال: «صدق اللسان، ومواساة الإخوان، وذكر الله تعالى في كل مكان»[٩].

---

(١) جامع البيان، الطبري (١٣/ ٣٢٧).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٤٧).
(٣) صحيح البخاري، باب السّاعي على المسكين، برقم الحديث (٦٠٠٧)، (٨/ ٩).
(٤) صحيح البخاري، باب فضل من يعول يتيمًا، برقم الحديث (٦٠٠٥، ٨/ ٩).
(٥) غذاء الألباب، للسفاريني (٢/ ٤٥٧).
(٦) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٣٤).
(٧) لسان العرب (١/ ١٥٥).
(٨) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ١٥١).
(٩) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٤٣).

٦. سئل سفيان الثوري عن المروءة فقال: «الإنصاف من نفسك والتفضل لله تعالى»[١].

٧. كان الحسن يقول: «لا دين إلا بمروءة»[٢].

٨. سئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة؟ فقال: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل»[٣].

رابعًا: أقسام المروءة:

تنقسم المروءة إلى قسمين: «إما فعل أو ترك».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقة المروءة تجنب للدنايا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأعمال فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض ومروءة المال: الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلًا وعرفًا وشرعًا ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه ونسيانه بعد وقوعه فهذه (مروءة البذل).

وأما (مروءة الترك): فترك الخصام والمعاتبة والمطالبة والمماراة والإغضاء عن عيب ما يأخذه من حقك وترك الاستقصاء في طلبه والتغافل عن عثراته»[٤].

أبيات عن المروءة:

قال منصور الفقيه:

وإذا الفتى جمع المروءَة والتُّقَى ... وحوى مع الأدبِ الحياءَ فقد كمل

وقال الشاعر:

تأبى المروءة أن تفارق أهلها ... إنّ المروءة في الرجال خصالُ

وقال آخر:

هل المروءَةُ إلَّا ما تَقُومُ به ... من الذِّمامِ وحفظِ الجَارِ إنْ عَتَبا

---

(١) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص٨٣).

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي (ص١٩٨).

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٠٦).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم (٣/ ١٥١-١٥٢).

المبحث الخامس

قيمــة الكــرم

الكرم من أرفع القيم التي تدعوا إلى البذل والعطاء وقد رغب الشارع الكريم في الكرم وحث عليه وجعله من كمال الإيمان وحسن الإسلام وكانت العرب تفاخر بالكرم وكرمائها وتعده من أنبل الأخلاق و صفات الكمال.

أولًا: مفهوم الكرم لغةً واصطلاحًا:

الكرم لغة: شرفٌ في الشَّيء في نفسهِ أو في خلقٍ من الأخلاقِ، وهو ضد اللؤم[١].

واصطلاحًا: إنفاق المال الكثير بسهولة من النّفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النّفع[٢]، وقيل: هو التّبرّع بالمعروف قبل السّؤال، والإطعام في المحل، والرّأفة بالسّائل مع بذل النّائل، وقيل هو: الإعطاء بالسّهولة[٣].

ثانيًا: أهمية قيمة الكرم:

تتجلى قيمة الكرم من خلال النّقاط الآتية:

١. الكرم من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنّ الله كريم يحبّ الكرم، ويحبّ معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»[٤]، وقال أيضًا: «**إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»، وقال كذلك: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء في دورهم**»[٥].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٢).
(٢) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه (ص٣٠).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص١٨٤).
(٤) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد (١/ ٤٨).
(٥) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في النظافة، برقم الحديث (٣٥٥٦)، وصححه الألباني، (٥/ ٥٥٦).

٢. الكرم صفة الأنبياء والمرسلين:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٧]، فأكرمهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمر لهم بعجل حنيذ[(١)]، وقال تعالى عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠].

٣. من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر إكرام الضيف والجار:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**»[(٢)].

٤. الكرم من الصفات التي أتمها الإسلام:

قيل للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أكرم النّاس؟ قال: «**أكرمهم أتقاهم**» قالوا: يا نبيّ الله، ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم النّاس يوسف نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «**أفعن معادن العرب تسألونني؟**». قالوا: نعم. قال: «**فخياركم في الجاهليّة خياركم في الإسلام. إذا فقهوا**»[(٣)].

وعن السّائب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جيء بي إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكّة جاء بي عثمان بن عفّان وزهير فجعلوا يثنون عليه، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تعلموني به قد كان صاحبي في الجاهليّة**» قال: قال: نعم، يا رسول الله، فنعم الصّاحب كنت. قال: فقال: «**يا سائب! انظر أخلاقك الّتي كنت تصنعها في الجاهليّة فاجعلها في الإسلام. اقر الضّيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك**»[(٤)].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٢١/ ٥٢٥).

(٢) صحيح البخاري، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم الحديث (٦٠١٩)، (٨/ ١١).

(٣) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (٤٦٨٩).

(٤) رواه أحمد (٣/ ٤٢٥).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الكرم:

١. قال حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أصبحت صباحا قطّ فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلّا كانت من النّعم الّتي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحا لم أر بفنائي طالب حاجة، إلّا كان ذلك من المصائب الّتي أسأل الله الأجر عليها»[(١)].

٢. سئل الحسن عن حسن الخلق، فقال: «الكرم، والبذلة والاحتمال»[(٢)].

٣. قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل[(٣)]، والرأفة بالسائل مع بذل النائل»[(٤)].

٤. قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أجمع أهل التجارب للدهر وأهل الفضل في الدين والراغبون في الجميل على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا وأجل ما يدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ومعاشرة الكرام»[(٥)].

٥. قيل في الفرق بين الجود والكرم: أن الجواد هو الذي يعطي مع السؤال، والكريم الذي يعطي من غير سؤال.

رابعًا: أنواع الكرم:

الكرم أنواع:

١. الكرم بالمال للوالدين والأهل والأبناء والجيران والأصدقاء والضيوف والفقراء والمساكين.

٢. الكرم بالبدن وذلك بالخدمة في السفر والحضر.

(١) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (١٠٧).
(٢) الكرم والجود، للبرجلاني (ص٥٥).
(٣) المحل: الشدة، أو الجوع الشديد، والجدب.
(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/ ٢٤٦).
(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان البُستي (ص١٧٥).

٣. الكرم بالعلم ببذله للناس وتعليمهم ما يجهلونه.

٤. الكرم بالجاه وبذله في قضاء حوائج الناس والشفاعة لهم.

أبيات عن الكرم:

قال بشار بن برد:

إن الكريمَ ليُخفي عنكَ عسرتهُ ... حتى تَراهُ غنيا وهو مَجْهودُ

وللبخيلِ على أموالهِ علَلٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ

إذا تكرمتَ أن تعطي القليلَ ولم ... تقدرْ على سعةٍ لم يظهرِ الجودُ

قال يزيد بن الحكم:

رأيْتُ سخيَّ النفسِ يأتيهِ رِزقهُ ... هنيئا ولا يُعطى على الحرصِ جاشعُ

وكلُّ حريصٍ لن يجاوزَ رزقه ... وكم من موَّفى رزقهُ وهو وادعُ

قال المنتصر بن بلال الأنصاري:

الجُودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ ... لا يستوي البخلُ عندَ اللهِ والجُود

قال آخر:

يُظهرُ عيبَ المرءِ في النَّاسِ بخلُه ... ويسترُه عنهم جميعًا سخاؤُه

تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني ... أرى كلَّ عيبٍ والسَّخاءُ غطاؤه

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. ما مفهوم القيم النّفسيّة؟
٢. للتّواضع ثمرات أذكر منها أربع؟
٣. عرف الحياء اصطلاحًا، واذكر أثره على الفرد والمجتمع؟
٤. بين مكانة الشّجاعة في نقاط أذكر ثلاثًا منها مع الدليل؟
٥. عرف المروءة لغةً واصطلاحًا؟ مع ذكر إضاءات من أقوال السلف؟
٦. عرف الكرم اصطلاحًا، واذكر دليلين من الكتاب والسنة على فضله؟

الفصل السادس

القيم الحضاريّة

المبحث الأول: قيمة علو الهمة.

المبحث الثاني: قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: قيمة العلم.

المبحث الرابع: قيمة العمل الخيري.

المبحث الخامس: قيمة النظافة والجمال.

المبحث السّادس: قيمة العناية بالصحة.

الفصل السادس
القيم الحضاريّة[١]

المبحث الأول
قيمة علو الهمّة

علو الهمة خلق نبيل وقيمة سامية تعشق النفوس العالية ويوافق العقل السليم والفطرة السليمة، وأصحاب الهمم دائمًا في المراتب العالية، والهمة عمل قلبي، والقلب لا سلطان عليه لغير صاحبه، وكما أن الطائر يطير بجناحيه، كذلك يطير المرء بهمته، فتحلق به إلى أعلى الآفاق.

أولًا: علو الهمة، لغةً واصطلاحًا:

الهمة لغةً: تدل على السّمو والارتفاع، يقال: تعالى النّهار، أي ارتفع وثبت، وهي أول العزم وتطلق على العزم القوي كذلك[٢].

واصطلاحًا: خروج النّفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل[٣].

ثانيًا: أهمية قيمة علوّ الهمّة:

تتجلى مكانة قيمة علو الهمة في النقاطة الآتية:

١. حث الإسلام على المسابقة في فعل الخيرات:

أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إليها قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]

(١) هي القيم التي لها علاقة بالحضارات والشعوب، والارتقاء بها ماديًّا ومعنويًّا وحضاريًّا.
(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٦٦٠).
(٣) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص١٨٩).

«فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان»[(١)].

٢. الاقتداء بالأنبياء من الهِمَم العالية:

ثناء الله تعالى على أصحاب الهمم وطليعتهم الأنبياء والمرسلون، هم خيرة البشر ومنهم أولو العزم من الرسل الذين يجب الاقتداء على سيرهم وطريقهم ومنهجهم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ .

٣. الصّدق مع الله من الهِمَم العالية:

مدح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصادقين بالإقبال عليه، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣] أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبلوا أنفسهم في طاعته[(٢)].

٤. الله يحب معالي الأمور:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها**»[(٣)].

٥. همة المؤمن أبلغ من عمله:

في الحديث القدسي قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها، كتبها الله** عَزَّوَجَلَّ **عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها، كتبها الله سيئة واحدة**»[(٤)]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبق درهم مائة ألف**» قالوا: يا رسول الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٥١٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٦٦٠).
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الايمان، برقم الحديث (٧٦٤٧) (١٠/ ٣٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٨٤).
(٤) صحيح مسلم، باب إذا هم العبد بحسنة برقم الحديث (٢٠٧)، (١/ ١١٨).

وكيف؟ قال: «**رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها**»(١).

٦. نماذج من همم الأئمة والعلماء:

لعلماء الإسلام همة عالية ومن ذلك همتهم في العلم والتأليف فقد أملى شيخ الإسلام ابن تيمية الفتوى الحموية بين الظهر والعصر، وألف السيوطي ألفيته في الحديث ونظمها في خمسة أيام، وألف الإمام الذهبي ميزان الاعتدال في نقد الرجال في أربعة أشهر إلا يومين، وألف ابن خلدون مقدمته الشهيرة في خمسة أشهر.

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف في قيمة علو الهمّة:

١. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تصغرن هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم»(٢).

٢. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعًا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغني الإبل إليه لأتيته»(٣).

٣. قال ابن الجوزي: «وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات فإذا حثت سارت»(٤).

٤. قال الشّافعي: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت «الموطأ» وأنا ابن عشر سنين»(٥).

---

(١) أخرجه النّسائي، باب جهد المقل، برقم الحديث (٢٥٢٦)، وحسنه الألباني (٥/ ٦٢).
(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص٣٢٧).
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٧٣).
(٤) لفتة الكبد، لابن الجوزي (ص٣٢).
(٥) الشَّافِي في شَرح مُسنَد الشَّافِعي لابن الأثِير (١/ ٤٠).

٥. اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، فقال لهم مصعب: «تمنوا فقالوا: ابدأ أنت. فقال: ولاية العراق وتزوج سكينة ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فنال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها. وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه الحديث فنال ذلك. وتمنى عبد الملك الخلافة فنالها. وتمنى عبد الله بن عمر الجنة»[١].

٦. قال ابن قيم الجوزية: «وكمال الإنسان إنما يتم بهذين النوعين «همة ترقيه» و«علم يبصره، ويهديه» فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما: إما أن لا يكون له علم بها، فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالمًا بها، ولا تنهض همته إليها»، وقال أيضًا: «فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح»[٢]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

٧. «همتك فاحفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال».

٨. قال ابن القيم: «الدِّين مداره على أصلين: العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث: اللهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد»[٣].

أبيات في علوّ الهمّة:

قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم[٤]

---

(١) عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله الدينوري (١/ ٣٦٧).

(٢) الفوائد، ابن قيم الجوزية (ص١١٤).

(٣) عدة الصابرين، ابن القيم (ص١٧٨).

(٤) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ليوسف البديعي الدمشقي (ص٥٩).

وقال آخر:

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وقال آخر:

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[١]

وقال آخر:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام[٢]

(١) حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى الشّافعي (٢/ ٥٣٠).

(٢) أمالي ابن الشجري، لضياء الدين ابن الشجري (٣/ ٢٤٦).

المبحث الثاني

قيمة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام أمر الله بها في كتابه العظيم وحث عليها الرسول الكريم ﷺ في سنته، فهي شعيرة تتحقق بها الخيرية لهذه الأمة حال القيام بها، وينعم المجتمع بالطمأنينة والأمن.

أولًا: مفهوم المعروف والمنكر لغةً واصطلاحًا:

المعروف لغةً: هو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وما يستحسن من الأفعال[١].

المنكر لغةً: خلاف المعروف، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه[٢].

المعروف اصطلاحًا: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات[٣].

والمنكر اصطلاحًا: كل ما قبحه الشرع وحرمه ونهى عنه[٤].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هو الإرشاد إلى المراشد المنجية والزجر عما لا يلائم في الشريعة[٥].

ثانيًا: أهمية قيمة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

تتجلى مكانة قيمة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في النّقاط الآتية:

---

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٨٣٧).
(٢) لسان العرب (٥/ ٢٣٢-٢٣٣).
(٣) النهاية في غرب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٢١٦).
(٤) لسان العرب (٢٣٣).
(٥) التعريفات (ص٣٧).

١. أمر الله بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤] أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[(١)].

٢. تحقيق خيرية الأمة المحمدية مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠].

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الرسل:

وخاتمهم نبينا محمد ﷺ وأول وصف وصفه الله به في الكتب السابقة[(٢)] قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

٤. حصول الثّواب بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

رتب الرسول الكريم ﷺ الأجر والثواب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال ﷺ: «**بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة**»[(٣)]، وقال أيضًا: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٩١).

(٢) حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبد الله بن جبرين (ص٢٦).

(٣) صحيح مسلم، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم الحديث (٥٣)، (٢/ ٦٩٧).

والنهي عن المنكر»[(١)]. وقال كذلك: «**أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة**»[(٢)].

٥. أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتغير المنكر:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٣)]، وقال أيضًا: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط، والكسل، وعلى النفقة في العسر، واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم**»[(٤)].

٦. جميع الولايات الإسلاميّة مقصودها الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

يقول ابن تيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنما خلق الخلق لذلك وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون»[(٥)].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف في قيمة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

١. قال أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليعاقبنكم الله تعالى بعقاب»[(٦)].

٢. قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإسلام ثمانية أسهم، الصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم».

---

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم الحديث (٣٥٨٦)، (٤/ ١٩٦).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم الحديث (٢٢١)، وقال الألباني: صحيح لغيره (ص١٠٠).
(٣) صحيح مسلم، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم الحديث (٧٨)، (١/ ٦٩).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم الحديث، (٤٢٥١)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه» (٢/ ٦٨١).
(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ٦١).
(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن أبي الدنيا (ص٦٧).

٣. قال الحسن البصري: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وإلا كنتم أنتم الموعظات».

٤. سئل الإمام أحمد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: «هو واجب عليه حتى يخاف، فإذا خشي على نفسه فلا يفعل»[١].

٥. قال أبو بكر بن العربي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه»[٢].

٦. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويجب على أولي الأمر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر؛ فيأمرونهم بما أمر الله به ورسوله وينهونهم عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ»[٣].

رابعًا: ثمرات قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمرات من ذلك ما يأتي:

١. دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وسبب النجاة في الدنيا والآخرة.
٢. صمام أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع، ويثبت معاني الخير والصلاح في الأمة، ويضعف عوامل الشر والفساد فيها.
٣. يهيأ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرذائل ويتربى في ظله الضمير العفيف والوجدان اليقظ.
٤. هو سر أفضلية هذه الأمة، وسبب نصرها وتمكينها[٤].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال (ص١٦).
(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، الإمام أبو بكر بن العربي المالكي (٢/ ١٢).
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/ ٤٢٣).
(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٥٢٥).

خامسًا: حكم وشروط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب شرعي وهو من أفضل الأعمال الصالحة التي تقرب بها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وتنال الثّواب والجزاء العظيم.

يقول النووي: «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وهو أيضًا من النصيحة التي هي من الدين»[(١)]، ويقول أيضًا: «والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجب لم يضره ضلال الضلال».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها»[(٢)].

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يشترط في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإسلام، والتكليف، والاستطاعة، ويشترط في الفعل الذي يجب إنكاره:

١. أن يكون المنكر موجودًا، فمن فرغ من شرب الخمر مثلًا لم يكن لآحاد الناس الإنكار عليه إلا بالوعظ إذا صح من سكره.
٢. أن يكون المنكر ظاهرًا بغير تجسس، فمن ستر معاصيه في داره وأغلق عليه بابه، فإنه لا يجوز لأحد أن يتجسس عليه ما لم يظهر شيء من ذلك.
٣. أن يكون المنكر معلوما بغير اجتهاد، فينكر على من خالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًّا، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه[(٣)].

قال الرافعي والنووي وغيرهما: لا يختص الأمر والنهي بأصحاب الولايات والمراتب، بل ذلك ثابت لآحاد الناس من المسلمين وواجب عليهم.

---

(١) شرح مسلم، النووي (١/ ٥١).
(٢) الحسبة في الإسلام (ص٨١).
(٣) تنبيه الغافلين (ص١٨-٣٠).

المبحث الثالث

قيمة العلم

احتفى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة احتفاءً كبيرًا بكلمة العلم والكلمات المتعلقة به، يتضح ذلك من خلال تناول المصدرين الكريمين لهذا المصطلح ومتعلقاته وتكراره فيهما لمئات المرات.

فقد وردت كلمةُ علم نكرةً ومعرفةً ثمانين (٨٠) مرة في القرآن، أما مشتقاتها: علم ويعلم ويعلمون وعلَّم ويُعَلِّمُ وعليم فقد ذكرت مئات المرات. وهناك كلمات لها ارتباط وثيق بالعلم ككلمة فكر، وفقه وحكمة وقد تكررت كثيرًا في كتاب الله، فمشتقات «فكر» تكررت ثماني عشرة (١٨) مرة، ومشتقات «فقه» ورد ذكرها إحدى وعشرين (٢١) مرة، وكلمة «حكمة» وردت عشرين (٢٠) مرة[(١)].

وإذا طالعت كتب الحديث النبوي وجدت في جُلِّ الكتب المصنفة كتابًا حافلًا موضوعه العلم، حوى عشرات الأحاديث في العلم وفضله.

هذه اللمحة السريعة عن كلمة العلم في القرآن والسنة تعطي دلالة واضحة على أهمية هذا الجانب المعرفي في حياة المسلم، وتوجه الانتباه إلى مزيد عناية واهتمام نحو التحصيل المعرفي والاهتمام بالعلم وآدابه.

أولًا: مفهوم العلم لغةً واصطلاحًا:

العلم لغة: نقيض الجهل، وتعلمت الشيء إذا أخذت علمه، وعلمت الشيء إذا عرفته[(٢)].

---

(١) الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج، محمد مرسي (ص٩٩-١٠٠).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (١٢/ ٤١٧).

واصطلاحًا: إدراك الشيء على ما هو به[١]، وقيل الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، والعلم الشرعي هو: علم الوحي ومعرفة ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى.

ثانيًا: أهمية قيمة العلم:

تتجلى مكانة قيمة العلم في النّقاط الآتية:

١. أهل العلم هم أهل الرفعة والمكانة العالية:

من اصطفاء الله لخلقه أن يسخر لهذا العلم رجالًا يرفعهم به ويعلي به درجاتهم في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

كما بيَّن ربنا عَزَّوَجَلَّ أن الذين يعلمون أعلى درجةً ومكانةً من غيرهم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

٢. العلماء هم أكثر الناس خشية لله:

بيَّن الله تعالى أن أكثر الناس معرفة به وخشية له هم العلماء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، جاء في التفسير: «والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان»[٢].

٣. طلب الزيادة من العلم:

علم الله نبيّه محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعاءً يدعو به طالبًا زيادة العلم، حيث قال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، والمعنى أي: قل يا محمد رب زدني علمًا وحفظًا وفهمًا وحكمًا بالقرآن، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيمانًا ويقينًا[٣].

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص١٥٥).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص٧٨٥).
(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٣٥٨).

٤. العلم من مجالات التنافس في الخير:

طلب العلم من العمل الصالح الذي يتنافس فيه أهل الهمم العالية، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(١). جاء في شرح الحديث: «هذه العبارة اشتملت على مبالغتين؛ إحداهما: الحكمة فإنها تدل على علم دقيق محكم، والأخرى القضاء بين الناس، وتعليمهم، فإنها من خلافة النبوة. وأصل الفضائل الداخلية العلم وأصل الفضائل الخارجية المال»(٢).

وبيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن العلم والتعلم من خير الأعمال في هذه الدنيا حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلم**»(٣).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم النافع الدال على الله فهو المقصود منها، فاللعن وقع على ما غر من الدنيا لا على نعيمها ولذتها، فإن ذلك تناوله الرسل والأنبياء»(٤).

٥. طلب العلم طريق موصل إلى الجنة:

طريق العلم، طريق شريف ودرب مبارك، أوله في الدنيا وآخره في الجنة، فهو طريق يسهّل الله به الوصول إلى جنته ورضوانه جَلَّ وَعَلَا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة**»(٥).

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم، حديث (٧٣) واللفظ له، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، حديث (٨١٥).
(٢) عمدة القاري، بدر الدين العيني (٢/ ٥٨).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب منه، حديث (٢٣٢٢) وقال: «هذا حديث حسن غريب».
(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري (٦/ ٥٠٥).
(٥) صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (ح٢٦٩٩).

٦. أجر العلم يستمر بعد موت الإنسان:

من فضل العلم أنه من الصدقات التي يستمر ثوابها ويصل أجرها إلى صاحبه بعد مماته، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(١). قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه بيان فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع(٢).

٧. الملائكة تحف أهل العلم:

طالب العلم في ممشاه المبارك وفي سيره الطيب في طريق العلم، ليس وحده بل تشاركه مخلوقات الله الأخرى من الملائكة الأبرار التي تضع أجنحتها له رضًا بعمله الذي تحب وترضاه، والمخلوقات الأخرى التي لا يحصيها إلا الله مما بين السماء والأرض، والكائنات البحرية (الحيتان) والتي تستغفر له وتدعو له، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٣).

وقيل في معنى وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم ثلاثة أقوال: «الأول: أنه بسط الأجنحة، والثاني: أنه التواضع تعظيمًا لطالب العلم، والثالث: أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران، ووجه استغفار الحيتان للمعلم أن نفع العلم يعم كل شيء حتى الحوت، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم، وأوصوا بالإحسان إلى

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ح١٦٣١).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٨٥).
(٣) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (ح٣٦٤١) واللفظ له.

كل شيء حتى إلى المذبوح والحوت، فألهم الله تعالى الكل الاستغفار لهم جزاءً لحسن صنيعهم»[(١)].

٨. العلم طريق لنضارة الوجه:

دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنضارة الوجه والحال لكل من سمع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبلغه بأمانة لمن لم يسمعه، وفي هذا دلالة على فضل تعليم العلم، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**»[(٢)].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف في قيمة العلم:

١. قال كعب الأحبار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أوحى الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تعلم يا موسى الخير وعلمه للناس ، فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم»[(٣)].

٢. قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلموا العلم، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة: تقتص آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم»[(٤)].

٣. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا كميل بن زياد احفظ ما أقول لك: القلوب أوعية خيرها أوعاها، الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو بالعمل والمال تنقصه النفقة، العلم

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي (ص١٣-١٤).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (ح٢٦٥٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
(٣) ينظر مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي (ص١٥).
(٤) حلية الأولياء، أبو نعيم (١/ ٢٣٩).

حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دين يدان بها يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»[١].

رابعًا: آداب طلب العلم:

للعلم آداب وقواعد إذا التزمها طالب العلم حاز النجاح والفلاح ومن ذلك:

١. الاستقامة على دين الله بفعل الطاعات وتجنب المعاصي.
٢. اقتران العلم بالعمل.
٣. تحصيل العلم وقت الشباب.
٤. الإقلال من كثرة النوم والطعام.
٥. لزوم النظافة والطهارة.
٦. الصبر في طلب العلم.
٧. سلامة الصدر.
٨. الإعداد والتحضير الجيد للدرس وتقييد العلم.
٩. اختيار الجليس الصالح.
١٠. البعد عن النزاع والجدال.
١١. الرحمة بين طلاب العلم.
١٢. احترام المعلم وتبجيله وتوقيره.

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٢-١٨٣)، وأورده الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣١١) وقال: «وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم».

المبحث الرابع

قيمة العمل الخيري

حث الإسلام على عمل الخير وبذله وأكد على ما كان نفعه متعديًا للآخرين سواء كان ماديًّا أو معنويًّا كطلاقة الوجه والابتسامة والكلمة الطيبة وادخال السرور إلى قلب المؤمن وعد ذلك من العمل الصالح الذي يحبه الله ويرفع صاحبه في الجنة.

أولًا: العمل الخيري لغةً واصطلاحًا:

الخير لغة: ضدّ الشر[(١)].

واصطلاحًا: ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع[(٢)]، وقيل هو: فعل الخير المتجرد في مقاصده لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثانيًا: أهمية قيمة العمل الخيري.

تتجلى مكانة قيمة العمل الخيري وفضله في النقاط الآتية:

١. أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعمل الخير:

قال تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

٢. أحبّ النّاس أنفعهم للنّاس:

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا في مسجد المدينة ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن**

(١) لسان العرب (٤/ ٢٦٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص١٦٠).

كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[(١)].

٣. العمل الخيري يحقق مرضاة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:٩-١٢].

٤. رغبت الشريعة في البذل والإنفاق:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، والشاهد: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثنى على المنفقين وهو عمل خيري متعدٍ نفعه الى غيرٍ.

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تصدقوا ولو بتمرة، فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار**»[(٢)]، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في سفر مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له**»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٩٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق لابن المبارك، برقم الحديث (٦٥١)، باب الصدقة، (ص٢٢٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٦٨).

(٣) صحيح مسلم، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، برقم الحديث (١٨)، (٣/ ١٣٥٤).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة العمل الخيري:

١. قال الماوردي: «إنّ البر من أسباب الألفة: لأنه يوصل إلى القلوب ألطافًا يثنيها محبة وانعطافًا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به وقرنه بالتقوى له» فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

٢. قال ابن القيم: «للصدقة والإحسان تأثير عجيب في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملًا فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية وحصن حصين»(١).

٣. وقال أيضًا: «فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقرون به، لأنهم جرَّبوه»(٢).

٤. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النفوس الكريمة تفرح وتُسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها، فالإحسان إلى الغير محمودٌ، لكون المحسني عود إليه من فعله هذه الأمور حكمٌ يُحمد لأجله»(٣).

رابعًا: مجالات العمل الخيري:

للعمل الخيري مجالات من أهمها ما يأتي:

١. المجال الاقتصادي:

ومن ذلك الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الله قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٤٦٧).
(٢) الوابل الصيب، لابن القيم (ص٤٩).
(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨/ ٨٩).

لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٠].

٢. المجال التّعليميّ:

ويشمل ذلك نشر العلم، والعناية بطلابه وطباعة الكتب ونشرها قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

٣. المجال الاجتماعي(٢)، ويشمل ذلك الأعمال الآتية:

حفر الآبار:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حفر ماء لم يشرب منه كبد حرَّى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدًا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتًا في الجنة**»(٣).

غرس الأشجار:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**»(٤).

السّعي على الضعفاء:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النّهار**»(٥). وقال أيضًا: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنّة**» وأشار بالسّبابة والوسطى(٦).

---

(١) صحيح مسلم، برقم الحديث (١٤)، (٣/ ١٢٥٥).
(٢) التّدريب الدّعوي، سلطان عمر الحصين (ص٢١٥).
(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب في فضل المسجد وإن صغر المسجد وضاق، برقم الحديث (١٢٩٢)، وقال المحقق: إسناده صحيح (١/ ٦٣٧).
(٤) صحيح البخاري، باب ما جاء في الحرث والمزارعة، برقم الحديث (٢٣٢٠)، (٣/ ١٠٣).
(٥) صحيح البخاري، باب فضل النفقة على الأهل، برقم الحديث (٥٣٥٣)، (٧/ ٦٢).
(٦) صحيح مسلم، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، برقم الحديث (٤٢)، (٤/ ٢٢٨٧).

النفع العام:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة**»[(١)].

٤. المجال الصحي:

ويتضمن ذلك تقديم الرعاية الصحية للمرضى والدواء العلاج والعناية بذوي الاحتياجات الخاصة.

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في صنائع المعروف، برقم الحديث (١٩٥٦)، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٤/ ٣٣٩).

المبحث الخامس

قيمة النّظافة والجمال

من كمال دين الاسلام عنايته بالنّظافة والجمال، فقد رتبّ النّظافة للعبادة، فأوجب الطّهارة عند الصّلاة وجعلها شرطًا من شروط الطّواف، وبيّن أنّ الله جميل يحبّ الجمال.

أولًا: مفهوم النّظافة والجمال لغةً واصطلاحًا:

لغةً: بمعنى الطهارة: وهي: النزاهة عن الأقذار، والنظيف: النقي البهي[(١)].

واصطلاحًا: النقاء من الدنس والأوساخ[(٢)]، وقيل: ارتفاع الحدث وإزالة الخبث[(٣)].

ومعنى الجمال: البهاء ورقة الحسن، والصبر الجميل: الذي لا تبرم معه.

ثانيًا: أهمية قيمة النظافة والجمال:

تتجلى مكانة قيمة النّظافة والجمال في النّقاط الآتية:

١. أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأخذ بالزّينة والجمال عند الصّلاة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، جاء في التفسير: أمرهم الله بالزينة والزينة: اللباس، وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد[(٤)].

٢. الله يحب الجمال.

من طبيعة البشر حبّ الجمال والله جميل يحب الجمال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب

(١) معجم متن اللغة، لأحمد رضا (٥/ ٤٩١).
(٢) معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي (ص٤٨٢).
(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لمحمود عبد الرحمن عبد المنعم (٢/ ٤٣٨).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٠٥).

أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»(١).

٣. الزّينة والجمال منّة ربانيّة على عباده.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢].

٤. عناية الشّارع بالنّظافة والطّهارة في العبادات.

استحباب النّظافة والجمال والغسل والطيب والسواك عند العبادة عمومًا وفي يوم الجمعة خاصة قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غسل يوم الجمعة على كل محتلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه**»(٢).

٥. أمر الإسلام بإماطة الأذى.

إماطة الاذى عن الطريق صدقة من الصدقات وجزء من الايمان قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الإيمَانُ بِضعٌ وسبعُونَ -أو بِضعٌ وستونَ- شُعبةً، فأفضلُها قولُ لا إله إلا اللهُ، وأدناهَا إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ**»(٣)، وقال أيضًا: «**نزعَ رجلٌ لم يعمَل خيرًا قَطُّ غُصنَ شوكٍ عن الطَّريقِ، إما كان في شَجَرَةٍ فقطَعَهُ وألقَاهُ، وإمَّا كان موضُوعًا فأماطَهُ، فشكرَ الله لهُ بها، فأدخَلَهُ الجنةَ**»(٤).

بل جعل إماطة الأذى عن الطريق من أحسن الأعمال فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرِضت علي أَعمالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوجدتُ في محاسِنِ أَعمالِها الأذى يُماطُ عن الطريقِ، وَوجدتُ في مَساوِي أعمالِها النُّخَاعةَ تكونُ في المسجدِ، لَا تُدفَنُ**»(٥)، وقال أيضًا:

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم الحديث (١٤٧)، (١/ ٩٣).
(٢) صحيح مسلم، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، برقم الحديث (٧)،(٢/ ٥٨١).
(٣) صحيح مسلم، باب شعب الإيمان (١/ ٦٣)، برقم (٣٥).
(٤) أخرجه أبوداود في سننه، (٧/ ٥٢٧)، برقم (٥٢٤٥).
(٥) صحيح مسلم، كِتَابُ المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ (١/ ٣٩٠)، برقم (٥٥٣).

«لقد رأيتُ رَجُلًا يتقلبُ في الجنةِ في شجرةٍ قطعها مِن ظهرِ الطريق، كانت تؤذي الناس»[(١)].

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة النّظافة والجمال.

١. قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من نظف ثوبه قل همّه ومن طاب ريحه زاد عقله»[(٢)].

٢. قال ابن قيم الجوزية: «ستر العورة من الأدب، والوضوء وغسل الجنابة من الأدب، والتطهر من الخبث من الأدب؛ حتى يقف بين يدي الله طاهرا؛ ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه».

٣. وقال أيضًا: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية: يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة، وهو أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]، فعلق الأمر بأخذ الزينة-لا بستر العورة-إيذانًا بأن العبد ينبغي له أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة، وكان لبعض السلف حلة بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة، ويقول: ربي أحق من تجملت له في صلاتي، ومعلوم أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، لا سيما إذا وقف بين يديه، فأحسن ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرًا وباطنًا»[(٣)].

٤. قال ابن الجوزي: «تلمحت على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم، فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الأكل، ومنهم من لا ينقي يديه في غسلهما من الزهم[(٤)]، ومنهم من لا يكاد يستاك، وفيهم من لا يكتحل، وفيهم من لا يراعي الإبط إلى غير ذلك، فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدين والدنيا»[(٥)].

٥. سأل رجل يحيى بن أكثم، «كم آكل؟ قال: فوق الجوع، ودون الشبع».

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ (٤/ ٢٠٢١)، برقم (١٩١٤).
(٢) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي (١/ ١٨١).
(٣) مختصر مدراج السالكين، ابن القيم (٢/ ٣٦٣).
(٤) هو السمين الكثير الشحم، لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٧٨).
(٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي (ص١٠٣).

رابعًا: أنواع الجمال:

الجمال نوعان: جمال حسيّ، وجمال معنويّ.

فالجمال الحسي:

ما يصور عليه الرجل والمرأة من حسن في الصورة بكل تفاصيلها، وقد لا يجتمع كماله في شخص بعينه، ولا امرأة بعينها، وقد يعطى منه لكل منهما قدرًا كبيرًا، وقد كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ذا جمال عظيم، وكذلك نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن الجمال الحسي ما يتجمل به الرجل والمرأة من لباس ونحوه، لكن المرأة تنفرد بالمبالغة في ذلك، فالمرأة من صغرها تنشأ في الحلية، الحسية والمعنوية، والمرأة ذات الدل والرقة حسًّا ومعنى أفضل من المرأة الخشنة، لأن الغلظة والخشونة لا توافق طبيعتها.

والجمال المعنوي:

كل ما أمر به الشرع من الفضائل والقيم، ومن أجمل الجمال الاتصاف بالحياء، والحياء شعبة من الإيمان[(١)]، وقد وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشدة الحياء، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أشد حياء من العذراء في خدرها»[(٢)].

(١) حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، لمرزوق بن هياس الزهراني (ص١٦٢).

(٢) صحيح البخاري، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برقم الحديث (٣٥٦٢)، (٤/ ١٩٠).

المبحث السادس

قيمة العناية بالصّحة

الجسد أمانة عند الانسان؛ ولذا فقد دعا الإسلام إلى رعاية الجسد، والمحافظة عليه من الأمراض والأوبئة، والمضار فأمر بتجنبه ما يضره ويعرضه إلى المخاطر، فشرع التداوي عند المرض، ومنع تناول بعض المأكولات والمشروبات مما فيها ضرر كأكل لحم الخنزير، وشرب الخمر.

ودعا إلى الاعتدال في الطعام: فهو الأصلح للجسم، والأنفع للعقل، والأسعد للنفس، والأخف إلى الطاعة والعبادة والعلم، والدال على الهمة العالية، ولذا فقد شرع الإسلام الصيام لما يترتب على ذلك من فوائد إيمانية وصحية، وقد قيل: عليك أن تأكل ربع ما تشتهي، فالعافية في أطراف الجوع، ونحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، فمن يأكل فوق الشبع يحفر قبره بأسنانه، ومن جار على صباه جارت عليه شيخوخته، ومن أكل قليلًا عاش كثيرًا.

أولًا: مفهوم الصّحة:

الصّحة هي: البراءة من المرض والعيب، وذهاب السقم، وهي ضدّ المرض[(١)].

ثانيًا: أهمية قيمة الصّحة:

تتجلى مكانة قيمة الصّحة في النّقاط الآتية:

١. عناية الإسلام بالصحة العامة:

اعتنت الشّريعة بسلامة صحة الإنسان وعافيته وعدم تعرضه إلى الهلاك والخطورة فحجبته عن تناول الضار من الأطعمة والأشربة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٧٢).

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١١٥]، وقال أيضًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩].

٢. اهتمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصحة والعافية وسبل الوقاية من الأمراض:

عن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء لم يغط، ولا سقاء لم يوك، إلا وقع فيه من ذلك الوباء**»(١).

وفي مجال الوقاية من المرض وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض الأطعمة النافعة بقوله: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر»(٢).

٣. رغب الإسلام في التداوي:

ومن ذلك التداوي بالحجامة فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عن أجر الحجام، فقال احتجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجمه أبو طيبة وأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه وقال: «**إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري**»(٣).

٤. الحث على سلامة أعضاء الإنسان من الأمراض:

وجه الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العناية بسلامة صحة الإنسان وأعضاء جسده من الأمراض، من ذلك ترغيبه في نظافة الأسنان بالسواك حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»، وقوله: «**لولا أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**».

كما أمر بالاعتدال في الطعام حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ملأَ آدميٌ وعاءً شرًا من بطنِهِ، بحسبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٍ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كان لا محالةَ فثُلُثٌ لطعامِهِ، وثُلُثٌ لشرابِهِ، وثُلُثٌ لنفسِهِ**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، برقم الحديث (٩٩)، (٣/ ١٥٩٦).
(٢) صحيح البخاري، باب العجوة، برقم الحديث (٥٤٤٥)، (٧/ ٨٠).
(٣) صحيح البخاري، باب الحجامة من الداء، برقم الحديث، (٥٦٩٦)، (٧/ ١٢٥).
(٤) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، (٢٣٨٠) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٤/ ٥٩٠).

وحث على الاقتصاد في الأكل وأنَّه وإن كان قليلًا حصلت منه الكفايةُ المقصودةُ، ووقعت فيه البركة وأنَّ البركةَ في الأكل مع الجماعة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طَعامُ الرجلِ يَكفِي رجلين، وطعامُ رجُلينِ يكفِي أربعةً، وطعامُ أربعةٍ يكفي ثمانيةً**»(١).

٥. من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب العافية:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**»، قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «**سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»(٢)، وعن ابن عمر قال: لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدّنيا والآخرة(٣)، وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك: «**اللهم إني أسألك الصّحة والعافيّة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر**»(٤).

ثالثًا: إضاءات من أقوال السّلف حول قيمة الصّحة:

١. قال سلم بن قتيبة: «الدنيا العافية، والشباب الصحة، والمروءة الصبر على الرجال»(٥).

٢. قال حاتم الزاهد: «أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، ولا قدر الحياة إلا الموتى»(٦).

٣. قال إبراهيم بن أدهم: «من ضبط بطنه، وملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح و الضحك».

---

(١) صحيح مسلم، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، رقم الحديث (١٨١)، (٢/ ١٦٣٠).
(٢) أخرجه الترمذي، باب في العفو والعافية، برقم الحديث (٣٥٩٤)، وقال حديث حسن. (٥/ ٤٦٨).
(٣) أخرجه أبوداود، باب ما يقول إذا أصبح، برقم الحديث: (٥٠٧٤)، (٧/ ٤٠٨). وصححه الألباني في تعليق سنن أبي داود (٤/ ٣١٨).
(٤) الزّهد، لأبي السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي الدارمي الكوفي، برقم الحديث (٤٤٥)، (١/ ٢٥٦).
(٥) المروءة، أبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان (ص٩٩).
(٦) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص٥٩٢).

٤. سأل رجل يحيى بن أكثم «كم آكل؟ قال: فوق الجوع، ودون الشبع».

٥. قال ابن كثير: «جمع الله الطب كله في نصف آية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»[(١)].

رابعًا: متطلبات الصّحة والعافية:

١. الاهتمام بالصحة، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج.

٢. مزاولة الرياضة والمشي، وتعلم مبادئ الصّحة وما يحتاجه بناء الجسم السليم.

٣. الطهارة ومداومة الوضوء والغسل والسواك والحجامة فإنها من أسباب الصحة.

٤. مراجعة الأطباء والتّداوي عند الحاجة واجتناب العدوى وأخذ الاجراءات الاحترازية عند تفشي الأمراض المعدية لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يوردن ممرض على مصح**»[(٢)].

٥. عدم قضاء الحاجة في مورد المياه والظل وقارعة الطريق.

٦. الاهتمام بنظافة اللباس والزينة والجمال.

٧. النوم المبكر وتجنب كثرة السهر في الليل.

٨. تجنب المحرمات كالتدخين والمسكرات والمخدرات وغيرها.

٩. التخفيف من تناول مسببات الأمراض كالدهون، والسكريات، والنشويات واللحوم.

١٠. الاعتدال في الأكل والشرب، فالمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، وقد ذكر العلماء فوائد الاعتدال في الطعام ومنها:

- صفاءُ القلبِ وإيقادُ القريحة وإنفاذ البصيرة، فإنّ الشبعَ يورثُ البلادةَ ويُعمي القلب، ولهذا جاءَ في الحكمة: من أجاعَ بطنَه عظُمت فكرتُه وفَطُن قلبُه.
- الانكسارُ والذلُ وزوالُ البَطَرِ والفرحِ والأشرِ، الذي هو مبدأُ الطغيانِ والغفلةِ عن الله تعالى.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠).

(٢) صحيح البخاري، باب لا هامة، رقم الحديث (٥٧٧١)، (٧/ ١٣٨).

أسئلة للمراجعة والحفظ

١. ما مفهوم القيم الحضارية؟
٢. بين قيمة علوّ الهمة مع ذكر الدليل.
٣. عرّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. ما فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ذكر الدليل؟
٥. تحدث عن قيمة العمل الخيري مستدلًّا على ما تقول؟
٦. ما المقصود بالنظافة والجمال من خلال ما درست؟
٧. ما أهمّ قواعد العناية بالصّحة؟ مع ذكر الدليل؟

تم بحمد الله

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH